ضوء المعرفة

الانتحار

في ضوء السنة النبوية

دراسة حديثية تحليلية

(التعريف، الحكم، الصور، الأسباب، العلاج)

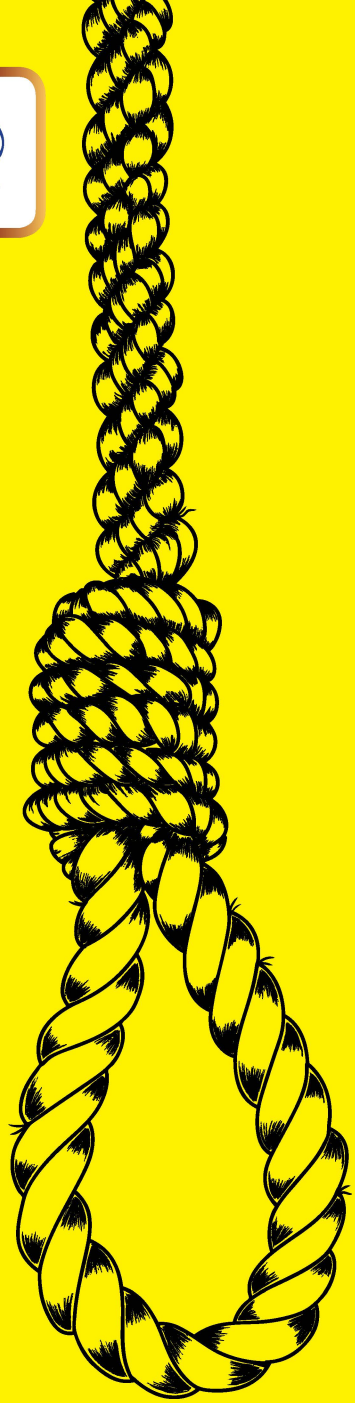

إعداد

د. لطيفة بنت محسن بن محيسن القرشي

الأستاذ المشارك في الحديث وعلومه

جامعة الملك عبد العزيز بجدة سابقًا

دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الانتحار

في ضوء السنة النبوية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ⓒ لطيفة محسن محيسن القرشي، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرشي، لطيفة محسن محيسن

الانتحار في ضوء السنة النبوية/ لطيفة محسن محيسن القرشي - المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ.

١٥٧ ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٨-٦٩٢١-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الانتحار ٢- الجنايات (فقه إسلامي) أ. العنوان

ديوي: ٢٥٥,١ ١٤٤٢/٥٤٠٣

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٥٤٠٣

ردمك: ٨-٦٩٢١-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

رقم الطبعة	الأولى
سنة الطبع	١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م
عدد الصفحات	١٦٠ صفحة
المقاس	١٧ × ٢٤

ضوء المعرفة

adw.marf@gmail.com

دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع

موزع معتمد

أفق للطبع والنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - الإسكندرية

+201220482504

+201003225280

e-mail: prdise2030@gmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الانتحار

في ضوء السنة النبوية

دراسة حديثية تحليلية

(التعريف، الحكم، الصور، الأسباب، العلاج)

إعداد

د. لطيفة بنت محسن بن محيسن القرشي

الأستاذ المشارك في الحديث وعلومه

جامعة الملك عبد العزيز بجدة سابقًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

- أهمية البحث.
- أهداف البحث.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أهمية البحث:

الانتحار ظاهرة عالمية خطيرة، لا يحدها مكان ولا زمان، ولا تختص بطبقة دون أخرى، وهي موجودة في كل المجتمعات ولكن بنسب متفاوتة. وفي إحصائية لمنظمة الصحة العالمية أن ١٠٠٠ شخص ينتحرون كل يوم على مستوى العالم، أي: حوالي ٤٢ شخصًا كل ساعة، وأنه في عام ٢٠٠٠م انتحر ما يقارب مليون شخص، ووصل معدل الانتحار العالمي نحو ١٦ حالة لكل ١٠٠ألف نسمة، ويشكل ذلك حالة وفاة واحدة في كل ٤٠ ثانية. وهناك ٨ آلاف محاولة انتحار تحدث يوميًّا في العالم، ويلقى ما يقارب ٨٠٠٠٠٠ شخص حتفه كل عام بسبب الانتحار، وأكثر من نصف المنتحرين في العالم أجمع هم دون سن الـ ٤٥عامًا. ويعدّ الانتحار على الصعيد العالمي أحد مسببات الوفاة الرئيسة الثلاثة لدى الأشخاص الذين تتراوح أعمارها بين ١٥ و٤٤ عامًا، ويعد الانتحار ثالث سبب للوفاة عند الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٩ عامًا، وسجل ثاني أهم سبب للوفيات بين من تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٩ عامًا على الصعيد العالمي في عام ٢٠١٦م. وتستأثر البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل بنحو ٧٩٪ من حالات الانتحار في العالم[١]، وتقدر حالات الانتحار في العالم -سواء كانت في أمريكا أم فرنسا أم الصين أم غيرها- بعشرات الآلاف سنويًّا، ولم تفلح عشرات الأبحاث والدراسات والبرامج التي كلفت ملايين الدولارات في الحد من هذه الظاهرة، بل إن أعداد المنتحرين في ازدياد كل عام.

(١) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية. الانتحار (who.int).

أما الانتحار في العالم الإسلامي خاصة فهو وإن كان لا يعد ظاهرة واضحة لافتة للنظر كشأنها في الدول الأخرى، إلا أنه لم يسلم منه على الرغم من أن حكم الانتحار معلوم عند المسلمين، بل قد زادت نسب الانتحار في البلاد الإسلامية مؤخرًا بشكل يقلق كل مسلم حريص على حفظ المجتمع وسلامته مما يهد أركانه، ويدمر أفراده الذين هم لبنات بنيانه، وما يستتبع ذلك من ترميل النساء، وتيتيم الأطفال.

وتخبر الإحصائيات المعلنة عن أرقام مذهلة لأعداد المنتحرين في العالم الإسلامي، وإن كانت هذه الأرقام دون الحجم الحقيقي الذي يحجب لأسباب: أسرية، أو اجتماعية، أو أمنية. ومن هذه الإحصائيات على سبيل المثال ما أظهرته النشرة الإحصائية الصادرة عن المكتب العربي لمكافحة الجريمة أنه في عام ١٩٨١م بلغ عدد حالات الانتحار في الأردن (٣٠٥) حالة، وفي مصر (٩٤٥) حالة، وفي تونس (١٦٦) حالة، وفي السودان (٣٧٩) حالة، وفي السعودية (١٠٥) حالات. كما أظهرت دراسة معتمدة على السجلات الرسمية الصادرة عن مديرية الأمن العام في الأردن للفترة ١٩٨٠م-١٩٩١م وجود (٥٠٨٣) حالة انتحار في الأردن في الفترة المدروسة. وبلغ عدد الحالات من الإناث (٢٨٨٥) حالة ومن الذكور(٢١٩٨) حالة[(١)]. كما أظهرت دراسة عن الانتحار في المجتمع الكويتي للفترة ١٩٩٢م-١٩٩٤م أن عدد حالات الانتحار في الكويت (٣٦٣) حالة بين انتحار فعلي، وشروع في الانتحار[(٢)].

(١) انظر: جريمة قتل النفس في المجتمع الأردني. د. ذياب البداينة (ص٥٦٩)، بحث محكم منشور في: ٢٥/ ١٢/ ١٤١٤هـ (مجلة جامعة الملك سعود. المجلد السابع. الآداب (٢) (ص٥٦٧-٦٠٥، ٥٨٩،٥٩١) (١٩٩٥م).

(٢) انظر: الانتحار في المجتمع الكويتي. مكتب الإنماء الاجتماعي، إدارة البحوث والدراسات (ص٤٥)، ط١، ١٩٩٥م.

وجاء في الكتاب الإحصائي السنوي لوزارة الداخلية في المملكة العربية السعودية أنه في عام ١٤٠٢هـ بلغ عدد حالات الانتحار (٣١) حالة، وفي عام ١٤٢٠هـ (١٩٢) حالة، وفي عام ١٤٢٢هـ (٢٢١) حالة، وفي عام ١٤٢٣هـ (٢٦١) حالة، وفي عام ١٤٢٤هـ (٢٢٣) حالة، وفي عام ١٤٢٥هـ (٢٦٣) حالة، وفي عام ١٤٢٦هـ (٣٠٣) حالة، وفي عام ١٤٢٧هـ (٢٦١) حالة. وهذه -على سبيل المثال- إحصائية تبين حالات الانتحار حسب المناطق لعامي: ١٤٢٦هـ و١٤٢٧هـ، على الترتيب الآتي:

م	المنطقة	عدد الحالات
١	الرياض	(٥٧-٩٥)
٢	المنطقة الشرقية	(٤٩-٥٣)
٣	مكة المكرمة	(٥٥-٦٢)
٤	عسير	(٢١-٢٧)
٥	المدينة المنورة	(١١-١٨)
٦	القصيم	(٩-١١)
٧	جازان	(٨-١٣)
٨	تبوك	(٤-١٣)
٩	الحدود الشمالية	(٢-٤)
١٠	نجران	(٨-١٠)
١١	حائل	(٤-٨)
١٢	الباحة	(٤-٦)
١٣	الجوف	(٤-٨)[١]

(١) انظر: الكتاب الإحصائي. وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للتطوير الإداري، إدارة التخطيط. للأعوام ١٤٢٢هـ - ١٤٢٧هـ مطبعة وزارة الداخلية. ومع هذه الأرقام فإن المجتمع السعودي -بحمد الله- يعد من أقل المجتمعات معاناة من هذه الظاهرة، كما تشير الإحصائيات أن أكثر حالات الانتحار في المجتمع السعودي من غير السعوديين.

وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية عن الانتحار في القارتين الأفريقية والآسيوية اللتين تحتضنان كل البلدان العربية، تفوقت مصر على الدول العربية، حيث شهدت (٣٧٩٩) حالة انتحار في عام ٢٠١٦م، وتجاوز عدد الرجال المنتحرين أعداد النساء المنتحرات (٣٠٩٥ مقابل ٧٠٤). و حل السودان الثاني عربيًا (٣٢٠٥) حالة انتحار، ثم اليمن ثالثًا (٢٣٣٥) منتحرًا، أما الجزائر فقد جاءت في المرتبة الرابعة بعدد حالات انتحار بلغت (١٢٩٩) حالة، ثم العراق بعدد (١١٢٨) حالة، والمملكة العربية السعودية في المرتبة الخامسة بنحو(١٠٣٥) حالة. ويعدّ المغرب البلد العربي الوحيد الذي شهد ارتفاعًا ملحوظًا في معدلات الانتحار لدى الإناث، فقد بلغ عدد الحالات (٦١٣) حالة، مقابل (٤٠٠) حالة من الذكور[١].

إن فشو الانتحار في المجتمع المسلم بهذا القدر أمر مفزع يخشى معه تنامي هذه الظاهرة عن طريق التقليد والمحاكاة، مما يدعو إلى ضرورة البحث والدراسة لموضوع الانتحار؛ للحد منه، ولتلافي احتمالات تزايد نسبته، وذلك بالتذكير بحكمه وعاقبته، وبمعرفة أسبابه، وسبل الوقاية منه. فالانتحار جريمة عظمى، وكبيرة من كبائر الذنوب، حرمتها الشريعة المطهرة، واستنكرتها الفطر السليمة، وهو فعل مستهجن يعبر عن انهزام المرء أمام المصاعب، وانهيار قواه عن تحمل الشدائد، وينبئ عن ضعف الإيمان بالله تعالى، وقد حرمه الإسلام أشد التحريم، وتوعد مرتكبه بأشد العقوبات. وعقوبة الانتحار في الآخرة أشد وأبقى من آلام الدنيا وشدائدها التي أراد المنتحر الهروب منها بالانتحار.

(١) **الانتحار:** هناك شخص يفارق الحياة كل ٤٠ ثانية (who.int)، صحة المراهقين النفسية (who.int).

وليس هناك حل يحد من هذه الظاهرة إلا في التمسك بتعاليم الإسلام الذي حرم الانتحار، وتوعد مرتكبه بأشد العقوبات، وبين لأتباعه أن الانتحار ليس وسيلة منجية من مصاعب الحياة وآلامها، ولا حلًا لمشكلة، ولا علاجًا لداء، ولا تنفيسًا لكرب، ولا دواء لمعضلة، ولا تعجيلًا لفرج، بل هو ظلم للنفس، واعتداء على حق الله الذي بيده الموت والحياة، وهو المالك الحقيقي لكل ما في الكون، والمتصرف فيه إيجادًا وإعدامًا، ومن اعتدى على حق الله فقد استحق غضبه وأليم عقابه.

أهداف البحث:

١- جمع أحاديث الانتحار من كتب السنة النبوية في بحث واحد، ومعرفة معانيها وما دلت عليه، وتمييز صحيحها من ضعيفها.

٢- التذكير بحرمة الانتحار وعاقبته بعد ازدياد حالات الانتحار في العالم الإسلامي.

٣- التعريف بأسباب حدوث الانتحار بين أبناء المسلمين، ومن ثم معرفة العلاج، وسبل الوقاية التي تحد من هذه الظاهرة في ضوء الكتاب والسنة.

٤- التذكير بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وما يتبعها من الصبر على البلاء، والرضا بما يقدره الله على العبد؛ لما لذلك من أثر في سكون النفس وطمأنينتها؛ مما يبعد التفكير في الانتحار فضلًا عن فعله.

٥- التحذير من الانفتاح المطلق على ثقافة الغرب دون التحصن بالإيمان القوي والفكر الواعي، حيث أخرجت لنا حثالة أفكارهم وسائل جديدة وسريعة وفعالة للانتحار، حتى إنهم ألّفوا كتبًا عن وسائل الانتحار بأيسر الطرق.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية البحث، وأهداف البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: ويشتمل على ذكر عناية الشريعة بحفظ النفس، وذكر النصوص الدالة على ذلك.

الفصل الأول: الانتحار وصوره، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الانتحار وحكمه.

المبحث الثاني: صور الانتحار، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التردي من الشواهق.

المطلب الثاني: تناول السم.

المطلب الثالث: الطعن بالحديد.

المطلب الرابع: نكء الجراح.

المطلب الخامس: الخنق.

المطلب السادس: الانتحار بوسائل أخرى.

الفصل الثاني: عقوبة المنتحر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقوبته في الدنيا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالفجور.

المطلب الثاني: عدم صلاة إمام المسلمين عليه.

المبحث الثاني: عقوبته في الآخرة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحرمان من دخول الجنة.

المطلب الثاني: دخول النار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: التعذيب بما قتل به نفسه.

المبحث الثالث: نفي العقوبة عن قتل النفس خطأً.

الفصل الثالث: أسباب الانتحار وسبل الوقاية منه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الذاتية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجهل بالدين.

المطلب الثاني: الجزع وعدم الصبر.

المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية.

الخاتمة: وتتضمن: أهم نتائج البحث، والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

سيجمع البحث بين المنهج الاستقرائي والتحليلي، حيث يتم جمع الأحاديث الواردة في قتل النفس، ثم دراستها على النحو الآتي:

١- بيان غريب الحديث من كتب اللغة، وكتب غريب الحديث.

٢- شرح الأحاديث والآثار شرحًا وافيًا بما يجلي معانيها، ويبرز الأحكام المستنبطة منها.

٣- تخريج الأحاديث بعزوها إلى مصادرها من كتب السنة، كالصحاح، والسنن، والجوامع، والمسانيد، والمعاجم، والأجزاء، وغير ذلك ما أمكن، وذكر كلام العلماء في الحكم على الحديث إن لم يكن في الصحيحين أو في الكتب التي التزم أصحابها بالصحة في كتبهم.

التمهيد

خلق الله تعالى النفس البشرية؛ لتعمر الأرض، وتقيم أمر الله فيها، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]، واستخلف الله الناس في الأرض بعضهم يخلف بعضًا جيلًا بعد جيل، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض، وأمدهم بالرزق، وأوصل إليهم النعم، وابتلاهم لينظر كيف يعملون؟ قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢]، وحتى يتم الاستخلاف، وتستقيم الحياة، جاءت النصوص في الكتاب والسنة تأمر العباد بحفظ ما يسمى بالضرورات الخمس، وهي: الدين، والعرض، والعقل، والمال، والنفس. وشُرعت الحدود لحفظها وصيانتها؛ ليحقق العباد عبوديتهم لله تعالى، ويقوموا بمهمة الاستخلاف في الأرض خير قيام. وبالتفريط في هذه الضرورات تختل الموازين، ويحدث التفريط في الدين، وهي لشرفها لم تُهمل في أي ملة من الملل السالفة بل هي مجمعة على حفظها، وروعيت فيها أجل رعاية؛ لأن بحفظها يحفظ نظام العالم، وتستقيم أحوال النوع الإنساني، وأول هذه الضرورات:

حفظ الدين: وذلك بالعمل به، والتحاكم إليه، وهو المقصود الأعظم الذي خلق الله الخلق لإقامته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فشرعت الدعوة إليه، وشرع الجهاد لإقامته في الأرض، ومحاربة من

يحارب المسلمين، ويعتدي عليهم دون غيرهم من الذمي، والمستأمن، ومن لا يحارب من صبي وامرأة. وشرعت عقوبة الداعي للبدع والأهواء؛ لما في انتشارها من اندراس الدين وتغييره، وشرع قتل المرتد بقول أو فعل منعًا لخروج الناس عن الدين.

حفظ العرض: وذلك بالحث على الزواج، وتحريم الزنا، وتشريع عقوبة الزاني، وتشريع اللعان صيانة للأعراض، وتشريع حد القذف عقوبة لمن يرمي غيره بفعل الفاحشة، وتحريم: النظر، واللمس، والخلوة، ونحوه مما يفسد حياة الناس، والتعزير على ذلك.

حفظ العقل: الذي هو مناط التكليف ومطية الوصول إلى فهم الشرع والعمل به، وذلك بتحريم كل ما من شأنه إفساد العقل، كشرب المسكرات والمخدرات التي تؤدي إلى اختلال العقل أو زواله؛ مما يفضي إلى وقوع الكثير من المفاسد الخاصة والعامة. ومن لم يحفظ عقله لم يحفظ دينه وعرضه وماله؛ ولذا شرع حد السكر عقوبة لمن يفسد عقله، ويفوت مصالح دينه.

حفظ المال: الذي به قوام الحياة، وذلك بمراعاة الحلال فيه كسبًا وإنفاقًا، وبالمحافظة عليه، وعدم إضاعته أو تعريضه للتلف، وعدم الاعتداء على أموال الغير أو إتلافها، وتشريع عقوبة السارق والمحارب[1].

---

(١) انظر: التقرير والتحبير (٣/ ١٩١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، لابن بدران (١/ ٢٩٥)، الموافقات (١/ ٤، ٣٨/ ٢٧- ٢٩)، إرشاد الفحول (١/ ٣٦٦-٣٦٧)، حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (٤/ ٢٠٩)، حواشي الشرواني على تحفة المحتاج (٩/ ١٠١)، الفواكه الدواني (٢/ ٢٨١- ٢٨٢).

حفظ النفس: أحد هذه الضرورات، بل بدونها لا يحفظ ما سواها؛ ولذا أمرت الشريعة بالمحافظة على النفس بشقيها: الروح، والجسد.

ففي الجانب الأول أمر الله تعالى العبد بتزكية نفسه بالإيمان، والعمل الصالح، والبعد عن تدسيتها بالمعاصي والقبائح، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠]، وهذه التزكية للنفس إنما يعود نفعها وخيرها على صاحبها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:١٨]، وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام:١٠٤]، والعبد بهذه التزكية لنفسه يرجو الفوز برضى الله وجنته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤]، ويبيع نفسه طلبًا لمرضاة الله تعالى الذي سيجازي عباده بالفوز والتكريم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧]، وهذه النفس التي اطمأنت بطاعة خالقها وابتغاء مرضاته هي التي تبشر عند الموت برضوان الله وجنته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧، ٢٨]، أما من امتهن نفسه وباعها بالهوى والشهوات، فقد فوتها الأرباح حين خفت موازينه من العمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٩]، ولا يظلم الله تعالى أحدًا من خلقه بل تأتي كل نفس لا ينقص من حسناتها، ولا يزاد في سيئاتها، قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس:٥٤]، وقال: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

وأما في جانب الجسد فقد أمرت الشريعة بالمحافظة عليه، وإعطائه حقه من الوقاية والرعاية، وقد تظاهرت النصوص بذلك كتابًا وسنة.

والأمثلة التي تدل على عناية الشريعة بجانب الجسد كثيرة جدًا، منها:

إيجاب الوضوء عند الصلاة، وإيجاب الغسل عند الجنابة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة:٦]، ومنها: الحث على المحافظة على سنن الفطرة، قال النبي ﷺ: «**الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الآباط**»(١)، وفي رواية مسلم: «**عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**. قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون **المضمضة**. زاد قتيبة: قال وكيع: انتقاص الماء يعني: **الاستنجاء**»(٢)، ومنها: الاعتناء بالنظافة وحسن المظهر عند الذهاب لأداء الصلاة، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١]، وقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر:٤].

ومنها: نهي الشريعة عن إلحاق الضرر بالجسد، سواء بتناول ما يضره مما حرم الله عليه من الأطعمة كالميتة والدم ولحم الخنزير، ومن الأشربة كالخمر والمسكرات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٧٣]،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار (٥/ ٢٢٠٩/ ٥٥٥٠).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة (١/ ٢٢٣/ ٢٦١).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠]، أم بفعل ما يفسد الجسد من ارتكاب الفواحش من زنا، أو لواط، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٣٢]، فنهى الله تعالى عن قربان فاحشة الزنا بالبعد عن دواعيها فضلًا عن الوقوع فيها؛ لأنها أمر مستقبح في الشرع والعقل والفطر؛ لما فيها من المفاسد العديدة التي لا حصر لها، قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

ومن أجل المحافظة على النفس من الهلاك أو الضرر شرع الله لعباده شريعة سمحة لا حرج فيها، فحرم التشديد على النفس، وتعريضها للمشقة حتى في أمور العبادات، ومن فعل ذلك حتى أهلك نفسه فهو ظالم متعدّ. وأمثلة ذلك في الشريعة كثيرة، منها: أن الجُنب إذا خاف على نفسه المرض أو الموت لا يغتسل حتى لا يتضرر بل يتيمم، وقد أجنب عمرو بن العاص في ليلة باردة فتيمم وتلا: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩]، فذكر ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يعنف(١). ومثله المريض إذا خاف على نفسه الضرر من الماء تيمم،

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في صحيحه، كتاب التيمم، باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم (١/ ١٣٠)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم ؟ (١/ ١٤٥/ ٣٣٤)، بلفظ: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾. فضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يقل شيئًا». وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الطهارة، باب عدم الغسل للجنابة في شدة البرد (١/ ٢٨٥/ ٦٢٩)، بنحوه، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٥٤).

وقد روى أبو داود[١] بسنده عن جابر قال: «خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخبر بذلك، فقال: **قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال**».

ومنها: وجوب سد رمق المضطر بتناول الحرام حين يشرف على الهلاك ولا يجد الحلال؛ حفاظًا على النفس وإحياء لها. ومنها: النهي عن المبيت على سطح ليس له جدار يحفظ من السقوط، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من بات فوق بيت ليس له أجار**[٢] **فوقع فمات فبرئت منه الذمة، ومن ركب البحر عند ارتجاجه فمات فقد برئت منه الذمة**»[٣].

كما أنكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من شق على نفسه، وأرهق جسده بأن نذر أن يحج ماشيًا، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يهادى بين رجلين فقال: **ما هذا؟** قالوا: نذر أن يمشي إلى بيت الله. قال: **إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه، مره فليركب**»[٤]. كما شرع الله تعالى لأصحاب الأعذار من المرضى

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم (١/ ١٤٥/ ٣٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب الجرح إذا كان في بعض جسده دون بعض (١/ ٢٢٧/ ١١١٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٥٩).

(٢) **أجار:** السطح الذي ليس حوله ما يرد الساقط عنه. انظر: غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ١١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ٣٥١/ ٢٠٧٤٨)، قال الزيلعي: «رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا، وكلاهما رجاله رجال الصحيح»، مجمع الزوائد (٨/ ٩٩)، وصححه الألباني في السلسلة (٢/ ٤٧٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب من نذر المشي إلى الكعبة (٢/ ٦٥٩/ ١٧٦٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة (٣/ ١٢/ ٦٣)، والنسائي في المجتبى، كتاب الأيمان والنذور، باب ما الواجب على من أوجب على نفسه نذرًا فعجز عنه (٧/ ٣٠/ ٣٨٥٢)، واللفظ له.

والمسافرين والخائفين والمسنين أحكامًا تخصهم يتم بها المحافظة على النفس، وعدم تعريضها للضرر أو التلف بل قد بلغت العناية بالنفس أن نهى الله تعالى عن إيلامها بالغم والأسف والحزن والحسرات لما لذلك من آثار بالغة في إضعاف البدن، وهدم القوى، وإفساد الصحة النفسية والبدنية، قال الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر:٨]، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣].

وإن من أشنع أنواع الاعتداء على النفس مما نهت عنه الشريعة الاعتداء عليها بالقتل عمدًا، فقد حرم الله قتل النفس بغير حق من ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وبر وفاجر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال في وصف عباده المؤمنين الذين وعدهم بجنته: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان:٦٨]، وحرم قتل الأولاد خشية الفقر فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١]، وشنع على قتل الموءودة فقال: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨، ٩].

ومن أجل المحافظة على الأنفس شرع الله تعالى القصاص من القاتل عقوبة له وزجرًا لغيره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨]، فجعل قتل النفس موجبًا للقصاص متوعدًا عليه، ولولا ذلك لكثر القتل في الناس، واضطرب الأمن، واختل نظام الحياة. والقتل من كبائر الذنوب المقرونة بالشرك، وهو من الفساد في الأرض؛ لأنه تغيير وهدم لخلق الله، ومناقضة لما أراد الله من انتشار النوع الإنساني.

كما جعل الله من قتل نفسًا في تعظيم العقوبة كمن قتل الناس جميعًا، قال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]؛ وذلك لأن من تجرأ على قتل نفس بغير حق فلا يتورع أن يقتل نفسًا أو أكثر، فكأنه قتل الناس جميعًا. ففي الآية تعظيم للعقوبة، وتشديد في الوعيد من حيث إن قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله وعذابه، وفي مقابله إن من لم يقتل أحدًا فقد حيي الناس منه جميعًا لسلامتهم منه(١).

وفي هذا تعظيم لقتل النفس وإحياء ذلك في قلوب الناس لتستمر الرهبة في قلوبهم، ويتواصوا في المحاماة على حرمتها؛ لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل جميع الناس عظم ذلك في نفسه فثبطه عن الجرأة عليها. فمن استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس؛ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس. وانتهاك حرمة الأنفس سواء في الحرمة والإثم، ومن ترك قتل نفس واحدة واستحياها خوفًا من الله فهو كمن أحيا الناس جميعًا لاستواء الأنفس في ذلك؛ أو لأنه يقتل قصاصًا كما لو قتل جميع الناس، وجزاؤه جهنم كما لو قتل الجميع، أو كما قتل الناس جميعًا وزرًا وإثما(٢). وقد أخبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن من قتل نفسًا بغير حق فإن على قابيل ابن آدم نصيب من الإثم لكونه أول من سن القتل، وهتك حرمة الدماء، وجرأ الناس على ذلك. قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على بن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل**»(٣).

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ١٩٢).
(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ١٩٤)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٠٠).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم (٣/ ١٢١٣/ ٣١٥٧).

كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق العباد الدماء؛ لعظم أمرها، وكبير خطرها، فقال: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(١). قال ابن حجر: «في الحديث عظم أمر الدم، فإن البداءة إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك»(٢). وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن العبد لا يزال في سعة ما لم يصب دمًا حرامًا، فإن أصابه فهو في ضيق بسبب ذنبه، وفيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لعظيم الوعيد فيه، فقال: «**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**»(٣).

قال ابن العربي: «الفسحة في الدين: سعة الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت؛ لأنها لا تفي بوزره»(٤).

كما أعلن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرمة الدماء في جمع عظيم ويوم مشهود في البلد الحرام وفي الشهر الحرام يوم حجة الوداع؛ ليعظم في النفوس أمرها، ويؤكد على حرمتها، فقال فيما رواه عنه أبو بكرة: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: أي**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة (٣/ ١٣٠٣/ ١٦٧٧)، وانظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١١/ ١٦٧).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات (٦/ ٢٥١٧/ ٦٤٦٩).

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ١٨٨).

شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: **أليس ذا الحجة؟** قلنا: بلى. قال: **فأي بلد هذا؟** قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: **أليس البلدة؟** قلنا: بلى. قال: **فأي يوم هذا؟** قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: **أليس يوم النحر؟** قلنا: بلى يا رسول الله. قال: **فإن دماءكم وأموالكم** -قال: محمد وأحسبه قال:- **وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعُنَّ بعدي كفارًا أو ضلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا لِيُبلّغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: ألا هل بلغت؟** قال ابن حبيب في روايته: «**ورجب مضر**»، وفي رواية أبي بكر: «**فلا ترجعوا بعدي**»[(١)].

وبلغ الأمر في المحافظة على الأنفس عدم رفع المؤاخذة في قتل الخطأ بل لا بد من العتق والدية حتى لا يستهان بالأنفس، ويلزم الناس جانب الحذر والحيطة في ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾ [النساء:٩٢]، بل لقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مجرد الإشارة بالحديدة إلى المسلم؛ خوفًا من وقوع الأذية عليه بقتل أو ما دونه، فقال: «**لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٤/ ١٥٩٩/ ٤١٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٣/ ١٣٠٥/ ١٦٧٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النار»[١]، وقال: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[٢].

وكما حرمت الشريعة قتل الغير فقد حرمت أيضًا قتل المرء نفسه، أو فعل الأخطار المفضية إلى هلاكها؛ لأن نفس الإنسان ليست ملكًا له بل هي أمانة عنده، يجب عليه المحافظة عليها، ولا يجوز له الإضرار بها بأي وجه، ومن فعل ذلك فقد عرض نفسه لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:٢٩، ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]. فالله تعالى خلق هذه النفس لتعمر الأرض بعبادته في سلامة ويسر، ثم جعل نهايتها الموت لتعود إلى خالقها فيجازيها بما عملت، وجعل الله تعالى لهذا الموت أجلًا محتومًا لا يؤخر، وجعل بحكمته هذا الأجل أمرًا مغيبًا عن العبد زمانًا ومكانًا. وقتل العبد لنفسه فيه اعتراض على القدر المحتوم، وعصيان لأمر الله بالمحافظة على النفس، وفيه مخالفة لما فطرت عليه النفوس من كراهية الموت، والفرار منه لشدته وكربه، والخوف مما بعده.

وبلغت العناية بنفس الإنسان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن مجرد تمني العبد للموت لضر ينزل به من مرض أو فقر أو خوف أو غير ذلك من مصائب الدنيا؛

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**» (٦/ ٢٥٩٢/ ٦٦٦١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٤/ ٢٠٢٠/ ٢٦١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٤/ ٢٠٢٠/ ٢٦١٦).

لما في ذلك من اعتراض على قضاء الله، وإن كان التمني لا يؤثر شيئًا في الآجال، لكنها أمر مغيب عن العبد، وهو مطالب بالرضا بقدر الله والتسليم لقضائه، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلًا فليقل: اللهم، أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»(١). ففي تمني الموت اعتراض وتسخط، وفي الدعاء المذكور تفويض وتسليم، بل قد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما هو أخص من تمني الموت وهو الدعاء على النفس بالموت؛ لأن في ذلك مفسدة ظاهرة، وهي طلب إزالة نعمة الحياة وما يترتب عليها من فوائد للمؤمن، فقال: «**لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا**»(٢).

فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى العبد عن مجرد تمني الموت أو الدعاء به فلا ريب أن تأتي الأحاديث محذرة من قتل العبد نفسه بأي وسيلة، ومبينة عقوبة المنتحر في الدنيا والآخرة.

وسيتم في هذا البحث إن شاء الله تعالى دراسة هذه الأحاديث، وبيان معانيها بما يبرز شناعة هذا الفعل القبيح، ويبين عاقبته الوخيمة على العبد في الدنيا والآخرة، ويحذر الناس من الوقوع فيه، ويبين أسبابه، وكيفية الوقاية منه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت (٥/ ٢١٤٦/ ٥٣٤٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به (٤/ ٢٠٦٤/ ٢٦٨٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به (٤/ ٢٠٦٥/ ٢٦٨٢).

الفصل الأول

الانتحـــار وصوره

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الانتحار، وحكمه.

المبحث الثاني: صور الانتحار، وفيه ستة مطالب.

المبحث الأول

تعريف الانتحـــار وحكمه

المبحث الأول

تعريف الانتحار، وحكمه

الانتحار لغة:

النحر: الصدر، والنحور: الصدور، ونحر الصدر: أعلاه، وقيل: هو موضع القلادة منه وهو المنحر، وجمعه: نحور. ونحره ينحره نحرًا: أصاب نحره، ونحر البعير ينحره نحرًا: طعنه في منحره حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر. ويوم النحر: عاشر ذي الحجة يوم الأضحى؛ لأن البدن تنحر فيه. والمنحر: الموضع الذي ينحر فيه الهدي وغيره. وتناحر القوم على الشيء وانتحروا: تشاحوا عليه، فكاد بعضهم ينحر بعضًا من شدة حرصهم. والناحران والناحرتان: عرقان في النحر. وفي الصحاح: الناحران: عرقان في صدر الفرس المحكم، والناحرتان: ضلعان من أضلاع الزور، وقال ابن الأعرابي: الناحرتان: الترقوتان من الناس والإبل. ونحر النهار: أوله، وأتيته في نحر النهار أي: أوله، وكذلك في نحر الظهيرة. وفي حديث الهجرة: أتانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نحر الظهيرة، هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو أعلى الصدر.

وفي حديث الإفك: حتى أتينا الجيش في نحر الظهيرة، ونحور الشهور: أوائلها. ونحر الرجل في الصلاة ينحر: انتصب ونهد صدره. وقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢] قيل: هو وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

قال ابن سيده: وأراها لغة شرعية. وقيل معناه: وانحر البدن، وقال طائفة: أمر بنحر النسك بعد الصلاة، وقيل: أمر بأن ينتصب بنحره بإزاء القبلة وألا يلتفت يمينًا ولا شمالًا. وقال الفراء: معناه استقبل القبلة بنحرك، والنحرة: انتصاب الرجل في الصلاة بإزاء المحراب. والنحر في اللبة مثل الذبح في الحلق، ورجل منحار وهو

للمبالغة يوصف بالجود، ومن كلام العرب: إنه لمنحار بوائكها أي: ينحر سمان الإبل. ويقال انتحر الرجل بمعنى: نحر نفسه، أي: قتلها. وقعدَ فلانٌ في نَحْرِ فلان: قابَلَه، ونَحَرْتُه نَحْرًا: قابَلْتُه، وتَناحَروا على الطريق وغيرِه إذا تَتابعوا عليه[(١)].

الانتحار شرعًا:

مَرَّ في المعنى اللغوي أن النحر: هو أعلى الصدر، والمنحر حيث يبدو الحلقوم في أعلى الصدر، وانتحر الرجل أي: قتل نفسه. وقد ورد ذلك مفسرًا في الحديث الصحيح: «فقالوا: يا رسول الله، صدق الله حديثك، انتحر فلان، فقتل نفسه»[(٢)]. ويعبر عنه الفقهاء عند ذكر أحكامه بقتل الإنسان نفسه، ومن هنا يمكن تعريف الانتحار بأنه:

قتل الإنسان لنفسه متعمدًا بأي وسيلة كانت يحصل بها زهوق روحه وبلوغها الحلقوم، وغايته قطع نفسه عن شهواتها بالكلية بالموت حزنًا على فوات دنيا، أو جزعًا من مصاب، أو ضجرًا من ابتلاء[(٣)].

حكم الانتحار:

الانتحار حرام بالاتفاق، وهو من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى، والمنتحر باغٍ على نفسه، وفاسق بكبيرته إن لم يستحلها، فإن استحلها كفر. وسيتضح من خلال البحث أدلة ذلك من الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: لسان العرب (٥/ ١٩٥-١٩٧)، تاج العروس (١٤/ ١٨٤-١٨٨)، مختار الصحاح (١/ ٢٧٠)، أساس البلاغة (١ / ٦٢٢)، تهذيب اللغة (٥ / ٩-١٠)، معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٠٠)، القاموس الفقهي (ص٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤/ ١٥٤٠/ ٣٩٦٧).

(٣) انظر: التعريفات، للجرجاني (١/ ٢٢٠)، القاموس الفقهي (ص٣٤٩)، الموسوعة الفقهية الكويتية (١/ ٢٢٥٦).

المبحث الثاني

صـــور الانتحـــار

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التردي من الشواهق.

المطلب الثاني: تناول السم.

المطلب الثالث: الطعن بالحديد.

المطلب الرابع: نكء الجراح.

المطلب الخامس: الخنق.

المطلب السادس: الانتحار بوسائل أخرى.

المبحث الثاني

صور الانتحار[١]

المطلب الأول

التردي من الشواهق

التردي هو: السقوط، **والشواهق:** هي الأماكن العالية المرتفعة. وطريقة هذه الصورة من الانتحار أن يتهور الإنسان فيعمد إلى مكان مرتفع كجبل أو بناء أو بئر ثم يرمي نفسه منه قاصدًا قتلها.

وقد وردت الأحاديث محذرة من قتل النفس بهذه الصورة البشعة التي تهابها النفس السوية، وينفر منها الطبع السليم، ومتوعدة مرتكبها بأشد العقوبات.

أخرج البخاري[٢] ومسلم[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) وردت أحاديث في السنة النبوية مبينة بعض صور الانتحار، مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**». رواه مسلم: (١/ ١٠٣/ ١٠٩)، ووردت أحاديث أخرى عامة ذكر فيها تحريم الانتحار بكل وسيلة كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**». رواه مسلم: (١/ ١٠٤/ ١١٠)، واقتضى تقسيم صور الانتحار إلى مطالب إلى تقطيع الأحاديث، بحيث توضع كل صورة في مطلب مستقل لغرض التوضيح والدراسة، وتقطيع الأحاديث عمل سائغ قد صنعه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كما هو معلوم.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث (٥/ ٢١٧٩/ ٥٤٤٢)، واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ١٠٣/ ١٠٩) بلفظه مع تقديم وتأخير.

قال: «**من تردى**[(١)] **من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

وفي رواية عند ابن حبان[(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ومن اقتحم فقتل نفسه اقتحم في النار**».

ويدل قوله: «**فقتل نفسه**» على أنه أسقط نفسه من مكان عالٍ متعمدًا قتل نفسه، فصار بالرمي سبب قتل نفسه، ويؤيده زيادة رواية ابن حبان: «**متعمدًا**»، وإلا فمجرد قوله: «**تردى**» لا يدل على التعمد[(٣)].

(١) **التردي**: السقوط. ومنه المتردية وهي التي تطيح في بئر فتموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل:١١]، أي: سقط في هوة النار. والتردي: التهور في مهواة. وردِي فلان أي: هلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات:٥٦] أي: لتهلكني. والردى: الهلاك، وأرداه الله أي: أهلكه. انظر: تاج العروس (٣٨/ ١٤٣)، المعجم الوسيط (/ ٣٤٠)، معجم مقاييس اللغة (٣/ ٥٠٧)، وانظر: مرقاة المفاتيح (٧/ ١١).

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب الجنايات، باب ذكر تعذيب الله جَلَّ وَعَلَا في النار القاتل نفسه بما قتل به (١٣/ ٣٢٧/ ٥٩٨٧).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٢٤٨).

المطلب الثاني

تنـــاول السُّـــم

السم بفتح السين وضمها: دواء قاتل يطرح في طعام أو ماء فيؤكل أو يشرب[١].

وطريقة هذه الصورة من الانتحار أن يتناول الإنسان السم ويتجرعه داخل جوفه أكلًا أو شربًا أوشما[٢] قاصدًا قتل نفسه متيقنًا أثر السم عليه بكميته وكيفيته.

وقد جاءت الأحاديث محرمة قتل الإنسان نفسه بهذه الصورة المخالفة لما نهى الله عنه من أكل الخبائث.

أخرج البخاري[٣] والنسائي[٤] بسنديهما عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ومن تحسى[٥] سمًّا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

---

(١) انظر: حاشية السندي على النسائي (٤/ ٦٧). وجمع السم: سموم بضم السين، وسمام بكسرها. وشيء مسموم: فيه سم، وسمه أي: سقاه السم، وسم الطعام أي: جعل فيه السم. انظر: لسان العرب (١٣/ ٣٠٣)، مختار الصحاح (١/ ١٣٢).

(٢) كمن يتعمد شم غاز قاتل، فهو ملحق بالسم بجامع أن كلًا منهما يدخل إلى الجوف.

(٣) سبق تخريجه (ص٣٥).

(٤) سنن النسائي الكبرى، كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على من قتل نفسه (٤/ ٣٦٩/ ١٩٦٤). وانظر: سنن النسائي (المجتبى)، كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على من قتل نفسه (٤/ ٦٦/ ١٩٦٥).

(٥) **حسا الماء حسوًا:** تناوله جرعة بعد جرعة، وأحساه: جرعه إياه، والحسوة: ملء الفم. والتحسي: عمل في مهلة. انظر: لسان العرب (١٤/ ١٧٦)، المعجم الوسيط (١/ ١٧٤)، تهذيب اللغة (٥/ ١٠٩).

وفي رواية ابن حبان[١]، والترمذي[٢]، والدارمي[٣]: «**ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»، ومعنى تحسى السم أي: تناوله، وتجرعه داخل جوفه. ويدخل في هذه الصورة تناول المبيدات السامة، ومواد التنظيف، وتناول كمية كبيرة من الأدوية بقصد قتل النفس؛ لأن غالب الأدوية تحتوي على مادة سمية مركب معها ما يدفع ضررها، فإذا أخذت بكميات كبيرة زادت نسبة السموم فيها فأهلكت.

قال ابن حجر: «وأما مجرد شرب السم فليس بحرام على الإطلاق؛ لأنه يجوز استعمال اليسير منه إذا ركب معه ما يدفع ضرره إذا كان فيه نفع، أشار إلى ذلك ابن بطال. وقد أخرج ابن أبي شيبة وغيره أن خالد بن الوليد لما نزل الحيرة قيل له: احذر السم، لا تسقيكه الأعاجم، فقال: ائتوني به، فأتوه به فأخذه بيده ثم قال: بسم الله، واقتحمه فلم يضرّه، فكأن المصنف رمز إلى أن السلامة من ذلك وقعت كرامة لخالد بن الوليد، فلا يتأسى به في ذلك لئلا يفضي إلى قتل المرء نفسه»[٤].

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الجنايات، ذكر تعذيب الله جَلَّوَعَلَا في النار من قتل نفسه في الدنيا (١٣/ ٣٢٥/ ٥٩٨٦).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره (٤/ ٣٨٦/ ٢٠٤٣).

(٣) سنن الدارمي، كتاب الديات، باب التشديد على من قتل نفسه (٢/ ٢٥٢/ ٢٣٦٢).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٢٤٨)، و«قصة خالد مشهورة في كتب التاريخ، أنهم حاصروا حصنًا، فقال الروم: لا نسلّم (نستسلم) حتى تشرب السمّ، فأخذه خالد ثقة بالله وتوكلًا على الله وشرب، ولم يضره، وسلم الروم... هذه حالة خاصة ونادرة لم يكن أخذه لها بسبب الانتحار، وإنما وجد خالد مصلحة عظيمة للمسلمين، ووجد في نفسه توكلًا على الله كبيرًا، وهذا شيء يشعر به ربما بعض أولياء الله في بعض الحالات... لم يضره مع التوكل... ولكن هذا لا يقع مع أي أحد...».

وقال ابن بطال: «من شرب سمًّا للتداوي ولم يقصد به قتل نفسه وشرب منه مقدارًا مثله، أو خلطه بغيره مما يكسر ضرره فليس بداخل في الوعيد؛ لأنه لم يقتل نفسه، غير أنه يكره له ذلك؛ لما روى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدواء الخبيث». قال أبو عيسى: يعني السم»[(١)].

وإذا كان النهي قد ورد عن التداوي بالخبيث من الأدوية فكيف بتناول السم ليقتل الإنسان نفسه؟! «قال الماوردي وغيره: السموم على أربعة أضرب: منها ما يقتل كثيره وقليله، فأكله حرام للتداوي ولغيره، قال تعالى﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، ومنها ما يقتل كثيره دون قليله، فأكل كثيره الذي يقتل حرام للتداوي وغيره، والقليل منه إن كان مما ينفع في التداوي جاز أكله تداويًا، ومنها ما يقتل في الأغلب وقد يجوز ألا يقتل فحكمه كما قبله، ومنها ما لا يقتل في الأغلب وقد يجوز أن يقتل فذكر الشافعي في موضع إباحة أكله، وفي موضع تحريم أكله، فجعله بعض أصحابه على حالين، فحيث أباح أكله فهو إذا كان للتداوي، وحيث حرم أكله فهو إذا كان غير منتفع به في التداوي»[(٢)].

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٨/ ٦٤)، والحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره (٤/ ٣٨٧/ ٢٠٤٥)، وأبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة (٢/ ٣٩٩/ ٣٨٧٠)، وأحمد (١٣/ ٤١٦/ ٨٠٤٨)، وابن ماجه في السنن، كتاب الطب، باب النهي عن الدواء الخبيث (٢/ ١١٤٥/ ٣٤٥٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه (٧/ ٤٥٩).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦/ ١٦٧).

المطلب الثالث

الطعن بالحديد

وطريقة هذه الصورة من قتل النفس أن يعمد الإنسان إلى آلة من حديد، أو ما يشابهها ويقوم مقامها في الضرر والتأثير كالسيف والرمح، فيطعن بها نفسه في أي موضع من الجسد طعنًا يحصل به زهوق الروح.

وقد جاءت الأحاديث محذرة من قتل الإنسان لنفسه بهذه الصورة.

أخرج البخاري[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ[(٢)] بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار**»[(٣)]. وفي رواية: «**ومن طعن نفسه طعنها في النار**»[(٤)].

وعند النسائي[(٥)]: «**ومن قتل نفسه بحديدة** -ثم انقطع علي شيء، يعني: خالدًا[(٦)]- **كانت حديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٥).

(٢) **الوجء**: اللكز. وجأه باليد والسكين: ضربه، ووجأه في عنقه كذلك، ووجأت عنقه وجأ: ضربته. والمراد: الطعن. انظر: لسان العرب (١/ ١٩٠)، تاج العروس (١/ ٤٨٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٤٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس (١/ ٤٥٩/ ١٢٩٩).

(٤) سبق تخريجه (ص٣٦).

(٥) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٦) «ليس هذا من متن الحديث بل هو من كلام الراوي عن خالد، أي: إن خالدًا يقول انقطع شيء من متن الحديث بعد قوله: «ومن قتل نفسه بحديدة»، وهذا الانقطاع إما بسقوط لفظ، أو بالتردد فيه». حاشية السندي (٤/ ٦٦).

ويشمل الانتحار بالطعن بالحديد من يتحامل على شيء حاد حتى يدخل في جوفه استعجالًا للموت، وهذا ما حدث في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحد مغازيه، حيث أخبر عن رجل اتكأ على حد سيفه حتى خرج من ظهره بأنه من أهل النار على الرغم من عظيم بلائه في أول المعركة، لكنه لم يصبر على جراح أصابته؛ فقتل نفسه بهذه الصورة.

أخرج البخاري(١) ومسلم(٢) بسنديهما عن سهل بن سعد السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة(٣) إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقيل: ما أجزأ(٤) منا اليوم أحد كما أجزأ فلان. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أما إنه من أهل النار**. فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه(٥) بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أشهد أنك رسول الله. قال: **وما ذاك؟** قال:

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤/ ١٥٣٩/ ٣٩٦٦)، واللفظ له.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ١٠٦/ ١١٢)، (مع اختلاف يسير).
(٣) **الشاذة**: هي التي كانت في القوم ثم شذت عنهم. **والفاذة**: من لم يختلط معهم أصلًا، فوصفه بأنه لا يبقي شيئًا إلا أتى عليه. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٤/ ١٨١).
(٤) أي: ما أغنى وكفى. انظر: شرح مسلم، للنووي (٢/ ١٢٣)، عمدة القاري (١٤/ ١٨١).
(٥) هو بضم الذال وتخفيف الباء الموحدة، وهو طرفه الأسفل، وأما طرفه الأعلى فمقبضه. انظر: شرح مسلم، للنووي (٢/ ١٢٣)،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك! فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحًا شديدًا؛ فاستعجل الموت، فوضع سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك: **إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»[(١)]، و يدخل في هذه الصورة من يقود مركبة سيارة أو نحوها مسرعًا متهورًا قاصدًا قتل نفسه بها.

(١) اختلف في هذه الغزوة، فقيل: خيبر، وقيل: أحد، وقيل: إن الرجل اسمه قزمان الظفري من بني ظفر بطن من الأنصار. انظر: فتح الباري (٧/ ٤٧٢)، عمدة القاري (١٤/ ١٨١).

المطلب الرابع

نكء الجراح

نكء الجراح: هو تقشيرها قبل أن تبرأ[١]. وطريقة هذه الصورة من قتل النفس أن يصاب الإنسان بجراح تؤلمه، فيخرج عن حيز الصبر، فينكؤها تسخطًا واعتراضًا، فيؤدي ذلك إلى موته، أو يتبرم منها فيقطع العضو المصاب بالجراح استعجالًا للموت، لا لغرض المداواة التي يغلب على الظن الانتفاع بها، وقد جاءت الأحاديث محذرة من قتل النفس بهذه الصورة.

أخرج البخاري[٢] بسنده عن جندب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كان برجل جراح[٣]؛ فقتل نفسه، فقال الله: بدرني[٤] عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**».

وفسر ذلك القتل في رواية أخرى[٥] بلفظ: «**كان فيمن كان قبلكم رجل**[٦]

---

(١) انظر: لسان العرب (١/ ١٧٣، ١٥/ ٣٤١)، مختار الصحاح (٢/ ٢٣٠)، تاج العروس (١/ ٢٤٣). والجروح: جمع جرح بالضم. انظر: لسان العرب (٣/ ٤٢٢)، تاج العروس (٦/ ٣٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس (١/ ٤٥٩/ ١٢٩٨).

(٣) قال البدر العيني: «ويروى: خُراج -بضم الخاء المعجمة وتخفيف الراء- وهو في اصطلاح الأطباء: الورم إذا اجتمعت مادته المتفرقة في ليف العضو الورم إلى تجويف واحد، وقبل ذلك يسمى ورمًا... وزعم النووي أن الخراج قرحة -بفتح القاف وإسكان الراء- وهي: واحدة القروح، وهي: حبات تخرج في بدن الإنسان». عمدة القاري (٨/ ١٩١).

(٤) **بدر إلى الشيء بدورًا:** أسرع واستبق إليه، وبدر غيره إليه: عاجله. انظر: لسان العرب (٤/ ٤٨)، تاج العروس (١٠/ ١٣٧)، مختار الصحاح (١/ ١٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٥ / ٣٢٧٦).

(٦) قال ابن حجر: لم أقف على تسمية هذا الرجل. فتح الباري (٣/ ٢٢٧).

به جرح، فجزع، فأخذ سكينًا، فحز[١] بها يده، فما رقي[٢] الدم حتى مات».

وعند مسلم[٣] عن الحسن قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان ممن قبلكم رجل خرجت به قرحة فآذته، فانتزع سهمًا من كنانته فنكأها، فلم يرقأ دمًا حتى مات. فقال ربكم** عَزَّ وَجَلَّ: **بادرني عبدي بنفسه فقتلها، فقد حرمت عليه الجنة**»، ثم قال: إي والله، لجندب حدثني به عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي رواية الحسن عن جندب قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان ممن قبلكم رجل جرح فخذه بسكين، فلم يرقأ دمه؛ فمات،** فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه؛ حرمت عليه الجنة**».

ومعنى قوله: «بادرني» أي: سبقني، فمعنى المبادرة هنا: عدم صبره حتى يقبض الله روحه حتف أنفه، وهو كناية عن استعجاله الموت.

(١) **الحز:** القطع. وقيل: قطع في علاج. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٣٤)، تاج العروس (١٥/ ١٠٤)، أساس البلاغة (١/ ١٣٤).

(٢) **رقأ:** جف وانقطع، ورقأ الدم والعرق يرقأ رقوءًا: ارتفع بعد جريانه، والعرق سكن وانقطع. انظر: لسان العرب (١/ ٨٨)، تاج العروس (١/ ٣٥٠)، المعجم الوسيط (١/ ٣٦٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ١٠٧/ ١١٣).

المطلب الخامس

الخنـــق

الخنق[١]: هو عصر الحلق، وفي معناه الشنق[٢]. وطريقة هذه الصورة من القتل أن يعمد الإنسان إلى خنق نفسه: إما بيديه، أو بحبل، أو يتعلق بشيء يخنق به نفسه.

وقد وردت الأحاديث مبينة عقوبة من يخنق نفسه بأي شيء ليقتلها.

أخرج البخاري[٣] بسنده عن أبي هريرة قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار**».

وفي رواية ابن حبان[٤]: «**من خنق نفسه في الدنيا فقتلها خنق نفسه في النار**».

(١) **الخنق**: مصدر خنقه يخنقه خنقًا فهو مخنوق. والخنق في الحلق، يقال أخذه بخناقه أي: بحلقه، ويقال: بلغ منه المخنق -بالتشديد- وهو موضع الخنق من العنق، وانخنقت الشاة بنفسها فهي منخنقة، والانخناق: انعصار الخناق في خنقه، والاختناق: فعله بنفسه، والخناق: الحبل الذي يخنق به. انظر: لسان العرب (١٠ / ٩٢)، تاج العروس (٣٥/ ٢٦٨).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح (٧/ ١٣).

(٣) سبق تخريجه (ص٤٠).

(٤) سبق تخريجه (ص٣٦).

المطلب السادس

الانتحار بوسائل أخرى

مر في المطالب السابقة ذكر الأحاديث التي حرم فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الانتحار بالصور المذكورة، وقد وردت أحاديث عامة تحرم الانتحار وتنهى عنه بأي وسيلة كانت.

أخرج البخاري(١) ومسلم(٢) وابن حبان(٣) بأسانيدهم عن ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة**»، وفي رواية لمسلم(٤): «**من ذبح نفسه بشيء ذبح به يوم القيامة**»، وفي رواية عند النسائي(٥): «**من قتل نفسه بشيء عذب به في الآخرة**»، وفي رواية(٦): «**من قتل نفسه بشيء عذبه الله به في نار جهنم**».

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن (٥/ ٢٢٤٧/ ٥٧٠٠)، واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار (١/ ١٠٤/ ١١٠)، بلفظه.

(٣) صحيح ابن حبان، كتاب الأيمان، ذكر التغليظ على من حلف كاذبًا بالملل التي هي غير الإسلام (١٠/ ٢٠٩/ ٤٣٦٧)، بلفظه.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار (١/ ١٠٥/ ١١٠).

(٥) سنن النسائي الكبرى، كتاب الأيمان والكفارات، باب الحلف بملة سوى الإسلام (٧/ ٩/ ٣٧٨٠).

(٦) سنن النسائي (المجتبى) (٧/ ٦/ ٣٧٧١).

فهذه الروايات تبين حرمة الاعتداء على النفس بالقتل بالصور المحددة في الأحاديث أو بما عداها من الصور، كمن يرمي نفسه في النار ليموت بالحرق، أو في الماء ليموت بالغرق، أو يقتل نفسه بمسدس أو بندقية، أو يمتنع عن الأكل والشرب حتى يموت؛ لأن فعل ذلك واجب بمقدار ما يدفع عنه الهلاك، ومن ذلك ما يفعله البعض من امتناع عن الطعام لأجل الحصول على مطالب معينة حتى يؤدي ذلك إلى موته، فهذا قاتل لنفسه حتى لو كانت مطالبه مشروعة، وغير ذلك مما استحدث ويستحدث من وسائل تؤدي إلى الموت.

كما أن حرمة قتل النفس تشمل من باشر بنفسه قتل نفسه، ومن تسبب في قتلها وإن لم يباشره بنفسه، كمن يُقر على نفسه كذبًا بما يوجب القصاص، وتشمل من عرض نفسه للمخاطر التي تؤدي للموت غالبًا وإن لم يقصد الموت، وإنما قصد التجربة أو اللعب والترفيه أو الاستعراض أو غير ذلك، كأن يتعرض لحيوان مفترس مثلًا ما دامت النتيجة واحدة، وهي حصول الموت بالتعرض للمهالك. سُئل ابن تيمية عن رجل مُنع من قتل حية، وأمسكها بيده؛ فقتلته، فقال: «فهذا الذي مُنع من قتل الحية، وأمسكها بيده حتى قتلته أولى أن يترك أهل العلم والدين الصلاة عليه؛ لأنه قاتل نفسه»[(١)].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤ / ٢٩١).

الفصل الثاني

عقوبــة المنتحــر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقوبته في الدنيا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالفجور.

المطلب الثاني: عدم صلاة إمام المسلمين عليه.

المبحث الثاني: عقوبته في الآخرة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحرمان من دخول الجنة.

المطلب الثاني: دخول النار.

المطلب الثالث: التعذيب بما قتل به نفسه.

المبحث الثالث: نفي العقوبة عن قتل النفس خطأً.

المبحث الأول

عقوبته في الدنيا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالفجور.

المطلب الثاني: عدم صلاة إمام المسلمين عليه.

المطلب الأول

وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالفجور

ورد في الحديث وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَن أقدم على قتل نفسه متعمدًا بالفجور، وهو وصف تأباه النفوس الشريفة، وتنفر منه الطباع السليمة. فالفجور: هو الانبعاث في المعاصي والذنوب، وهو في الأصل الميل عن الحق، ولا شك أن من قتل نفسه متعمدًا فقد مال عن الحق، وحاد عن الصواب، وارتكب ذنبًا كبيرًا.

أخرج البخاري(١) ومسلم(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «شهدنا خيبر، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل ممن معه يدعي بالإسلام: **هذا من أهل النار**. فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهمًا فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله، صدق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال: **قم يا بلال، فأذن: أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر**».

والوصف بالفجور لمن قتل نفسه يشمل الرجل المذكور في الحديث، ويشمل كل من عصى ربه بإزهاق روحه. وسواء أطلع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كفر هذا الرجل

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار (١/ ١٠٥ / ١١١)، بنحوه وفيه: (حنينًا) بدل (خيبر). قال النووي: «قال القاضي عياض: صوابه (خيبر)». شرح مسلم (٢/ ١٢٢).

عندما قتل نفسه أم لا، فالفجور وصف عام لمن كفر أو فسق. قال ابن حجر: «قوله بالرجل الفاجر يحتمل أن تكون اللام للعهد، والمراد: قزمان[١] المذكور، ويحتمل أن تكون للجنس... قال المهلب هذا الرجل ممن أعلمنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه نفذ عليه الوعيد من الفساق، ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضى عليه بالنار. وقال ابن التين: يحتمل أن يكون قوله: «**هو من أهل النار**» أي: إن لم يغفر الله له، ويحتمل أن يكون حين أصابته الجراحة ارتاب وشك في الإيمان أو استحل قتل نفسه؛ فمات كافرًا، ويؤيده قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بقية الحديث: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**»، وبذلك جزم ابن المنير، والذي يظهر أن المراد بالفاجر أعم من أن يكون كافرًا أو فاسقًا»[٢].

وقال البدر العيني: «وقيل: هذا رجل ظاهر الإسلام قتل نفسه، وظاهر النداء عليه يدل على أنه كان ليس مسلمًا، والمسلم لا يخرجه قتل نفسه عن كونه مسلمًا، فلا يحكم بكفره، ويصلى عليه، وأجيب عن ذلك بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطلع من أمره على سره فعلم بكفره»[٣].

(١) فتح الباري (٧/ ٤٧٣)، يقصد قزمان - بضم القاف وسكون الزاي - الظفري بضم المعجمة نسبة إلى بني ظفر بطن من الأنصار، وكنيته أبو الغيداق على القول باتحاد هذه القصة التي رواها أبو هريرة مع القصة التي رواها سهل بن سعد. انظر: (ص٢٢).

(٢) فتح الباري (٧/ ٤٧٣- ٤٧٤).

(٣) عمدة القاري (١٤/ ٣٠٧- ٣٠٨).

المطلب الثاني

عدم صلاة إمام المسلمين عليه

صلاة الجنازة فرض كفاية على كل من مات مسلمًا ولو كان عاصيًا، وقاتل نفسه وإن ارتكب كبيرة إلا أنه كغيره من المسلمين يُغسل ويُصلى عليه ويُدفن في مقابر المسلمين، غير أن إمام المسلمين وأهل الفضل لا يصلون عليه اقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدم الصلاة عليه، وزجرًا للناس أن يرتكبوا ما ارتكب، وليعلموا أن عمله غير مرضٍ.

أخرج مسلم(١) بسنده عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برجل قتل نفسه بمشاقص(٢)، فلم يصلّ عليه»، ولفظ النسائي(٣): «**أما أنا فلا أصلي عليه**»، وعند أبي داود(٤) بسنده بلفظ: «عن جابر بن سمرة قال: مرض رجل فصيح عليه، فجاء جاره إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: إنه قد مات. قال: **وما يدريك؟** قال: أنا رأيته. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إنه لم يمت**. قال: فرجع فصيح عليه، فجاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنه قد مات. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على القاتل نفسه (٢/ ٦٧٢/ ٩٧٨).

(٢) **المشاقص**: سهام عراض، واحدها: مشقص -بكسر الميم وفتح القاف- وقيل: هو سهم فيه نصل عريض، وقيل: هو اسم لنصل السهم إذا كان طويلًا، فإن كان عريضًا فهو المعبلة. انظر: لسان العرب (٧/ ٤٨)، و انظر: شرح مسلم، للنووي (٧/ ٤٧)، كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٤٦٣).

(٣) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على من قتل نفسه (٤/ ٣٦٨/ ١٩٦٣).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب الإمام يصلي على من قتل نفسه (٢/ ٢٢٤/ ٣١٨٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٨/ ١٣٤٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

إنه لم يمت. فرجع فصيح عليه، فقالت امرأته: انطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره. فقال الرجل: اللهم العنه، قال: ثم انطلق الرجل فرآه قد نحر نفسه بمشقص معه، فانطلق إلى النبي ﷺ فأخبره أنه قد مات. فقال: **ما يدريك؟** قال: رأيته ينحر نفسه بمشاقص معه. قال: **أنت رأيته؟** قال: نعم. قال: **إذًا لا أصلي عليه**».

وعدم صلاة النبي ﷺ على قاتل نفسه -ومثله الإمام وذوو الفضل- إنما هو لزجر الناس وتحذيرهم من هذا الفعل ليجتنبوه، وإلا فعامة الناس تصلي عليه على الراجح؛ لأن قتل النفس كسائر الكبائر لا يكفر صاحبها بارتكابها. قال النووي عند شرح الحديث: «وفي هذا الحديث دليل لمن يقول لا يصلى على قاتل نفسه لعصيانه، وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز والأوزاعي، وقال الحسن والنخعي وقتادة ومالك وأبو حنيفة والشافعي وجماهير العلماء: يصلى عليه.

وأجابوا عن هذا الحديث بأن النبي ﷺ لم يصلّ عليه بنفسه زجرًا للناس عن مثل فعله، وصلت عليه الصحابة، وهذا كما ترك النبي ﷺ الصلاة في أول الأمر على من عليه دين زجرًا لهم عن التساهل في الاستدانة، وعن إهمال وفائه، وأمر أصحابه بالصلاة عليه فقال ﷺ: «**صلوا على صاحبكم**»[(١)].

قال القاضي: مذهب العلماء كافة الصلاة على كل مسلم، ومحدود، ومرجوم، وقاتل نفسه، وولد الزنا. وعن مالك وغيره أن الإمام يجتنب الصلاة على مقتول في حد، وأن أهل الفضل لا يصلون على الفساق زجرًا لهم»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع (٢/ ٨٠٣/ ٢١٧٣).

(٢) شرح مسلم (٧/ ٤٧)، وانظر: تحفة الأحوذي (٤/ ١٥٢).
ويرى بعض العلماء أن مثل: قتل النفس، والغلول، وسائر المعاصي الظاهرة التي يحتاج إلى زجر الناس عنها بترك الصلاة عليهم أمواتًا، فإذا ظهرت معصية، وحدث فيها فساد عظيم، =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن بطال: «أجمع الفقهاء وأهل السنة على أن من قتل نفسه أنه لا يخرج بذلك من الإسلام، وأنه يصلى عليه، وإثمه عليه كما قال مالك، ويدفن في مقابر المسلمين، ولم يكره الصلاة عليه إلا عمر بن عبد العزيز والأوزاعي في خاصة أنفسهما، والصواب قول الجماعة؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنّ الصلاة على المسلمين، ولم يستثنِ منهم أحدًا، فيصلى على جميعهم: الأخيار والأشرار، إلا الشهداء الذين أكرمهم الله بالشهادة»[(١)].

وقد ذكر الطحاوي كلام أهل العلم في صلاة الناس على قاتل نفسه، وعدم صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه وعلى الغال وعلى من عليه دين، ثم ذكر نكتة في ذلك، فقال: «وكان تركه للصلاة على من ذكر تركه الصلاة عليه فيما ذكرنا ليس على منع منه الناس سواه أن يصلوا عليه، وكان تركه الصلاة عليه لأن من سنة الصلاة على الموتى سؤاله الله لهم الجنة، وكان من كان منه ما كان ممن امتنع من الصلاة عليه يحول بينه وبين الجنة، إما لذنبه، وإما لدينه الذي عليه، فترك الصلاة عليهم لذلك؛ لأن صلاته على من يصلي عليه رحمة، وصلى عليهم غيره ممن ليست صلاته في هذا المعنى كصلاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، وكذلك القاتل لنفسه ترك الصلاة عليه لما كان منه مما يمنعه مما سئل للمصلى عليهم، ولم يمنع من ذلك غيره ممن ليست صلاته عليه كصلاته هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)].

= ورجا أهل التقوى وأهل العلم أنهم إذا تركوا الصلاة عليهم أن يكون زجرًا لغيرهم عن المعصية، فإن ذلك يفعل كما كان من سنته. انظر: شرح زاد المستقنع، حمد بن عبد الله الحمد (٨/ ٢٠١).

(١) شرح ابن بطال (٥/ ٣٩٠)، وانظر: عمدة القاري (٨/ ١٩١)، عون المعبود شرح سنن أبي داود (٨/ ٣٢٨).

(٢) شرح مشكل الآثار (١٢/ ٤٨٧-٤٨٩).

وقد كان من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأل عن الجنازة، فإن ذكرت بخير صلى عليها، وإن ذكرت بشر لم يصلّ عليها. قال الطحاوي: «وقد كانت سنته فيمن كان يموت من أمته فيدعى للصلاة عليه أن يعتبر في أمره من أحواله»[(١)].

أخرج الحاكم[(٢)] بسنده عن أبي قتادة قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دعي إلى جنازة سأل عنها، فإن أثني عليها خيرًا صلى عليها، وإن أثني عليها غير ذلك قال لأهلها: شأنكم بها، ولم يصلّ عليها». وأخرج البيهقي[(٣)] بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صلوا خلف كل بر وفاجر، وصلوا على كل بر وفاجر، وجاهدوا مع كل بر وفاجر**».

ثم عقب على حديث مسلم في الرجل الذي قتل نفسه بمشاقص بقوله: «وقد روينا عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما قال ذلك ليحذر الناس بترك الصلاة عليه، فلا يرتكبوا كما ارتكب».

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف[(٤)] بسنده أن إبراهيم النخعي سئل عن إنسان قتل نفسه أيصلى عليه؟ قال: نعم، إنما الصلاة سنة. وقال: يصلى على الذي قتل نفسه، وعلى النفساء من الزنا، وعلى الذي يموت مريضًا من الخمر.

(١) شرح مشكل الآثار (١/ ٧٨-٧٩).

(٢) المستدرك (١/ ٥١٨/ ١٣٤٨)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، مجمع الزوائد (٣/ ٤).

(٣) سنن البيهقي الكبرى (٤/ ١٩/ ٧٠٨٠)، وقال: «قال علي: مكحول لم يسمع من أبي هريرة، ومن دونه ثقات، قال الشيخ: قد روي في الصلاة على كل بر وفاجر، والصلاة على من قال: لا إله إلا الله أحاديث كلها ضعيفة غاية الضعف، وأصح ما روي في هذا الباب حديث مكحول عن أبي هريرة، وقد أخرجه أبو داود في كتاب السنن إلا أن فيه إرسالًا كما ذكره الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ». «والمرسل حجة إذا اعتضد بأحد أمور، منها: قول أكثر أهل العلم وهو موجود هنا»، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦١).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٣/ ٣٤/ ١١٨٦٢).

وبسنده عن عطاء قال: صلِّ على من صلى إلى القبلة. وبسنده عن ابن سيرين قال: ما أعلم أن أحدًا من أهل العلم من الصحابة ولا التابعين ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثمًا.

وقاتل نفسه وإن كان قد ارتكب كبيرة تعرض بها لعقوبة الله إلا أنه يترحم عليه، ويدعى له، كما يجوز تعزية أهله وأقاربه؛ لأنه لم يكفر بقتل نفسه[1].

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١١/ ٤) الفتوى رقم (١١١٢٠).

المبحث الثاني

عقوبتــه في الآخرة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحرمان من دخول الجنة.

المطلب الثاني: دخول النار.

المطلب الثالث: التعذيب بما قتل به نفسه.

المطلب الأول

الحرمان من دخول الجنة

مَرَّ في المباحث السابقة حديث[١] جندب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كان برجل جراح؛ فقتل نفسه، فقال الله: بدرني عبدي بنفسه؛ حرمت عليه الجنة**»، وحديث[٢] أبي هريرة في الرجل الذي قاتل مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يصبر على الجراح؛ فقتل نفسه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة إلا مؤمن**»، وفي رواية مسلم[٣]: «**إلا نفس مسلمة**».

فهذه الأحاديث دلت على أن قاتل نفسه يعاقب في الآخرة بالحرمان من دخول الجنة، وقد ذكر العلماء أن المراد بعدم دخوله الجنة: أن يحرمها أول مرة حين يدخلها السابقون الأبرار؛ ليذوق وبال أمره جزاءً على معصيته لربه وجنايته على نفسه بإزهاق روحه استعجالًا للموت، هذا إن لم يعف الله عنه. وذكر العلماء أقوالًا أخرى، منها: أن المراد بالجنة جنة خاصة كالفردوس؛ لأن الجنان كثيرة، ومنها: أن المراد إن كان مستحلًّا لقتل نفسه فعقوبته في النار مؤبدة، أو هو من باب التغليظ والتخويف، أو أن الوعيد لهذا الرجل المذكور: إما لأنه كان كافرًا -وتعقب بأن الجنة محرمة على الكافر، سواء قتل نفسه أو استبقاها- أو لأنه ارتد من شدة الجراحة، أو يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها[٤].

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٢).

(٣) سبق تخريجه (ص٥٣).

(٤) انظر: عمدة القاري (٨/ ١٩١-١٩٢)، مرقاة المفاتيح (٧/ ١١)، فتح الباري (١٠/ ٢٦٣)، شرح مسلم، للنووي (٢/ ١٢٧).

ولا يقتضي قوله: «بادرني بنفسه» أن من قتل نفسه يكون قد مات قبل أجله، وإنما المعنى كما قال ابن حجر: «أن المبادرة من حيث التسبب في ذلك والقصد له والاختيار، وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها، وإنما استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله، فاختار هو قتل نفسه، فاستحق المعاقبة لعصيانه»(١).

قال ابن حجر: «وفي الحديث تحريم قتل النفس، سواء كانت نفس القاتل أم غيره، وقتل الغير يؤخذ تحريمه من هذا الحديث بطريق الأولى. وفيه الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه، حيث حرم عليهم قتل نفوسهم، وأن الأنفس ملك الله. وفيه التحديث عن الأمم الماضية، وفضيلة الصبر على البلاء، وترك التضجر من الآلام؛ لئلا يفضي إلى أشد منها. وفيه تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس»(٢).

وليس بين أحاديث حرمان قاتل نفسه من دخول الجنة وأحاديث دخول الموحدين الجنة تعارض، قال ابن حزم: «معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القاتل: «**حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار**» مبني على الموازنة، فإن رجحت كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة حتى يقتص منه بالنار التي أوجبها الله تعالى جزاء على فعله... ومعنى قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصًا من**

(١) فتح الباري (٦/ ٥٠٠) وزاد: «وقال القاضي أبو بكر: قضاء الله مطلق ومقيد بصفة، فالمطلق يمضي على الوجه بلا صارف، والمقيد على الوجهين، مثاله أن يقدر لواحد أن يعيش عشرين سنة إن قتل نفسه وثلاثين سنة إن لم يقتل، وهذا بالنسبة إلى ما يعلم به المخلوق كملك الموت مثلًا، وأما بالنسبة إلى علم الله فإنه لا يقع إلا ما علمه. ونظير ذلك الواجب المخير، فالواقع منه معلوم عند الله، والعبد مخير في أي الخصال يفعل؟».

(٢) المرجع السابق (٦/ ٥٠٠).

قلبه حرم الله عليه النار، وأوجب له الجنة»[١]، فهذا لا يختلف فيه مسلمان أنه ليس على ظاهره منفردًا، لكن يضمه إلى غيره من الإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبراءة من كل دين حاشا دين الإسلام، ومعناه حينئذ: أن الله عَزَّوَجَلَّ أوجب له الجنة ولا بد، إما بعد الاقتصاص وإما دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة، وحرم الله عليه أن يخلد فيها، ويكون من أهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:١٩٥]، ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة:١٤٣]، ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۚ﴾ [آل عمران:١١٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾ [المائدة:٣٧]، فنص الآية أنها في الكفار، هكذا في نص الآية»[٢].

ومع عظم ما ورد في عقوبة قتل النفس إلا أنها كسائر الكبائر، صاحبها تحت مشيئة الله، إن شاء عاقبه بما توعده به بعدله وحكمته، وإن شاء عفا عنه بفضله ورحمته، قال ابن بطال: «قوله: «**من قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم**» هو على الوعيد، والله تعالى فيه بالخيار»[٣].

ومما يدل على عفو الله عن قاتل نفسه إن شاء ما رواه مسلم[٤] بسنده عن جابر: «أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، هل لك

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٦/ ٢٢١١٣)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٤٩/ ٢٠٠).
(٢) الفصل في الملل (٤/ ٤٧).
(٣) شرح ابن بطال (١١/ ١١١).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر (١/ ١٠٨/ ١١٦).

في حصن حصين ومنعة؟ -قال: حصن كان لدوس في الجاهلية- فأبى ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، هاجر الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا(١) المدينة، فمرض فجزع، فأخذ مشاقص له فقطع بها براجمه(٢)؛ فشخبت(٣) يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطيًا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما لي أراك مغطيًا يديك؟ قال: قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم، وليديه فاغفر**»(٤).

قال النووي: «فيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة: أن من قتل نفسه، أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار بل هو في حكم المشيئة، وقد تقدم بيان القاعدة وتقريرها، وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل نفسه وغيره من أصحاب الكبائر في النار، وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي، فإن هذا عوقب في يديه، ففيه رد على المرجئة القائلين بأن المعاصي لا تضر، والله أعلم»(٥).

---

(١) **اجتووا المدينة**: كرهوا المقام بها لضجر ونوع من سقم، واجتويت البلد إذا كرهت المقام به، وإن كنت في نعمة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٨٤٤).

(٢) **البراجم**: العقد التي في ظهور الأصابع، واحدتها: برجمة بالضم. انظر: النهاية (١/ ٢٩١)

(٣) **شخبت**: الشخب: السيلان، وشخبت أي: سال دمها، وقيل: بقوة. انظر: النهاية (٢/ ١١١٤).

(٤) قال الشوكاني: «قوله: «لن نصلح منك ما أفسدت» فيه دليل على أن من أفسد عضوًا من أعضائه لم يصلح يوم القيامة بل يبقى على الصفة التي هو عليها عقوبة له». نيل الأوطار (٧/ ٢٠٣).

(٥) شرح مسلم (٢/ ١٣١-١٣٢).

وقال ابن بطال: «قال المهلب: وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بدرني عبدي بنفسه؛ حرمت عليه الجنة**» وسائر الأحاديث، فحملها عند العلماء في وقت دون وقت إن أراد الله أن ينفذ عليه الوعيد؛ لأن الله في وعيده للمذنبين بالخيار عند أهل السُّنَّة، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه، فإن عذبه فإنما يعذبه مدة ما ثم يخرجه بإيمانه إلى الجنة، ويرفع عنه الخلود والتأبيد على ما جاء في نص القرآن وحديث الرسول، فالقرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال لا إله إلا الله، حرمه الله على النار**»(١)، يعنى: حرم خلوده على النار»(٢).

على أن من العلماء من رأى أن صاحب الطفيل أخطأ في قتل نفسه، ولم يكن متعمدًا؛ ولذا دعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمغفرة. قال الطحاوي: «قد يحتمل أن يكون الرجل المذكور في هذا الحديث فعل بنفسه ما فعل مما ذكر فيه على أنه عنده علاج تبقى به بقية يديه ففعل ما فعل؛ لتسلم له نفسه، وتبقى له بقية يديه، فلم يكن في ذلك مذمومًا، وكان كرجل أصابه في يده شيء فخاف إن لم يقطعها أن يذهب بها سائر بدنه ويتلف بها نفسه، فهو في سعة من قطعها، فإن لم يقطعها -وهو يرى أنه بذلك يسلم له بقية بدنه، ويأمن على نفسه- ثم مات منها أنه غير ملوم في ذلك، ولا معاقب عليه، وكذلك هذا الرجل فيما فعل ببراجمه حتى كان من فعله تلف نفسه، وهو خلاف من قتل نفسه طاعنًا لها، أو مترديًا من مكان إلى مكان ليتلف نفسه، أو متحسيًا لسم ليقتل به نفسه، فلم يبن بحمد الله فيما رويناه في هذا الباب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تضاد ولا اختلاف. فإن قال قائل ففي هذا الحديث دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدي هذا الرجل بالغفران، ودعاؤه ليديه بذلك دعاء له،

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ: «**فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله**» (١/ ٣٩٦/ ١١٣٠).

(٢) شرح ابن بطال (٥/ ٣٩١).

وذلك لا يكون إلا عن جناية كانت منه على يديه استحق بها العقوبة، فدعا له رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بالغفران ليديه، فيكون ذلك غفرانًا له. قيل له: ما في هذا الحديث دليل على ما ذكرت؛ لأنه قد يجوز أن يكون ما كان من رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذلك الدعاء ليدي ذلك الرجل كان لإشفاقه عليه ولعمل الخوف من الله كان في قلبه، فدعا له بذلك لهذا المعنى لا لما سواه كما قد روي عنه مما علمه حصينًا الخزاعي أبا عمران بن حصين وأمره أن يدعو به، كما قد حدثنا أبو أمية، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر العبدي، أنبأنا ابن أبي زائدة، حدثنا منصور بن المعتمر، قال: حدثنا ربعي بن حراش عن عمران بن حصين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أباه حصينًا بعدما أسلم فقال: «**قل: اللهم، اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت، وما أخطأت، وما عمدت، وما جهلت، وما علمت**»[(١)]، فكان في هذا الحديث تعليم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصينًا أن يدعو الله أن يغفر له ما أخطأ، يعني: الخطأ الذي هو ضد العمد، وذلك مما هو غير مأخوذ به، ولا معذب عليه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، فكان الخطأ الذي ليس معه تعمد القلوب معفوًا عنه غير مأخوذ به صاحبه، وكان أمر النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ حصينًا أن يدعو الله بغفرانه إياه له على الرهبة من الله والتعظيم له والخوف مما عسى أن يكون يخالط قلب المخطئ في حال خطئه من ميل إلى ما أخطأ به، وكذلك ما في حديث جابر من دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالغفران للرجل المذكور فيه يحتمل أن يكون لمثل هذا أيضًا، والله نسأله التوفيق»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٤٤/ ٢٠٠٠٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩١/ ١٨٨٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(٢) شرح مشكل الآثار (١/ ١٨٥-١٨٦).

وجمع ابن كثير بين حديث جندب: «**فقال الله** عَزَّوَجَلَّ: **بادرني عبدي بنفسه؛ حرمت عليه الجنة**»، وحديث صاحب الطفيل فقال: «فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه قد يكون ذاك -أي: حديث جندب- مشركًا وهذا مؤمن، ويكون قد جعل هذا الصنيع سببًا مستقلًا في دخوله النار، وإن كان شركه مستقلًّا إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته.

الثاني: قد يكون ذاك عالمًا بالتحريم، وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام.

الثالث: قد يكون ذاك فعله مستحلًّا له، وهذا لم يكن مستحلًّا بل مخطئًا.

الرابع: قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه، بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه، وإنما أراد غير ذلك.

الخامس: قد يكون ذاك قليل الحسنات، فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور؛ فدخل النار، وهذا قد يكون كثير الحسنات، فقاومت الذنب؛ فلم يلج النار، بل غفر له بالهجرة إلى نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولكن بقي الشين في يده فقط، وحسنت هيئة سائره، فغطى الشين منه، فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيًا يديه قال له: ما لك؟ قال: قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت، فلما قصها الطفيل على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعا له فقال: «**اللهم، وليديه فاغفر**». أي: فأصلح منها ما كان فاسدًا. والمحقق أن الله استجاب لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في صاحب الطفيل بن عمرو»[1].

(١) السيرة النبوية، لابن كثير (٢/ ٧٧-٧٨)، وانظر: نيل الأوطار (١١/ ١٠١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني

دخـــول النـــار

مر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه البخاري ومسلم[١] وغيرهما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سمًّا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري[٢] قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار**».

وحديث الرجل الذي تحامل على سيفه في المعركة فقتل نفسه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار**... الحديث»[٣].

دلت هذه الأحاديث على أن قتل النفس كبيرة من كبائر الذنوب، قد توعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحبها بدخول النار جزاء لما ارتكب من مخالفة أمر الله تعالى بالمحافظة على النفس واستبقائها لعبادة الله. ومع شدة هذه العقوبة إلا أن قتل النفس -كما سبق ذكره- كسائر الكبائر لا يخلد صاحبها في النار كما هو مذهب

(١) سبق تخريجه (ص٣٥).
(٢) سبق تخريجه (ص٤٠).
(٣) سبق تخريجه (ص٤١).

أهل السنة والجماعة بل يعذب قاتل نفسه في النار مدة بقدر ذنبه إن لم يعف الله عنه ثم مصيره إلى الجنة، إلا أن يكون مستحلًا لقتل نفسه؛ فيكفر بذلك. فأولى ما حمل عليه هذا الحديث ونحوه من أحاديث الوعيد جزاء فاعل ذلك إلا أن يعفو الله عنه(١)، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فبين أن ما دون الشرك من الكبائر لا يخلد صاحبها في النار، بل هو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه ثم يكون مآله إلى الجنة، ويؤيده حديث عبادة بن الصامت، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن بايعهم على ترك القتل والزنا والسرقة وغيرها قال: «**فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**»(٢).

وأما قوله في الحديث: «**خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**» فقد بين العلماء أن ظاهر هذا غير مراد؛ لأنه لا يخلد في النار موحد، وأجابوا عن ذلك بعدة أجوبة: منها توهيم هذه الزيادة(٣)، ومنها حمل ذلك على من استحل قتل نفسه؛ لأنه يصير بذلك كافرًا،

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١/ ١٥/ ١٨)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (٣/ ١٣٣٣/ ١٧٠٩)، بنحوه.

(٣) قال الترمذي بعد أن أخرجه: «وروى محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قتل نفسه بسم عذب في نار جهنم**»، ولم يذكر فيه: «**خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»، وهكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا أصح؛ لأن الروايات إنما تجيء بأن أهل التوحيد يعذبون في النار ثم يخرجون منها، ولم يذكر أنهم يخلدون فيها». =

والكافر مخلد في النار، ومنها أنه ورد مورد الزجر والتغليظ، وحقيقته غير مرادة[١]، ومنها أن المعنى: أن هذا جزاؤه، لكن قد تكرم الله على الموحدين فأخرجهم من النار بتوحيدهم[٢].

فلا يخلد في النار من أتى بالشهادتين وإن قتل نفسه؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا للجاني على نفسه بالمغفرة، ولم يكن ليستغفر لمن وجب عليه الخلود بعد أن نهي عنه[٣]، وإنما ذلك قول قال به الخوارج، وأما إجماع المؤمنين كلهم غير الخوارج فعلى أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولا يخلد في النار موحد مع الكفار[٤].

وعلى ذلك فليس بين أحاديث الشفاعة الثابتة وبين حديث معاقبة قاتل نفسه بالتخليد في النار تعارض، قال ابن بطال: «يمكن الجمع بين هذا الحديث، وحديث الشفاعة بوجوه صحاح: فيجوز أن يكون فيمن قتل نفسه وأنفذ الله عليه الوعيد بأن خلده في النار مدة أكثر من مدة من خرج بالشفاعة، ثم خرج من النار

= سنن الترمذي (٤ / ٣٨٦) وقال في تحفة الأحوذي (٦/ ١٦٧): «هذه الزيادة زادها الأعمش، وهو ثقة حافظ، وزيادة الثقة مقبولة، فتأويل هذه الزيادة أولى من توهيمها».

(١) لم يرتض أبو عبيد القاسم بن سلام هذا القول فقال: «من أفظع ما تُؤوِّل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، أن جعلوا الخبر عن الله وعن دينه وعيدًا لا حقيقة له، وهذا يؤول إلى إبطال العقاب؛ لأنه إن أمكن ذلك في واحد منها كان ممكنًا في العقوبات كلها». الإيمان، للقاسم بن سلام (١/ ٣٣).

(٢) انظر: فتح الباري (٣/ ٢٢٧- ٢٢٨)، تحفة الأحوذي (٤/ ٣٨٦)، مرقاة المفاتيح (٧/ ١١-١٢)، شرح مسلم للنووي (٢/ ١٢٥)، عمدة القاري (٢١/ ١٤، ٢٩٢/ ١٨١).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح (٧/ ١٤).

(٤) انظر: شرح ابن بطال (١٨/ ٦٥).

بعد ذلك بمدة بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما في قلبه من الإيمان المنافي للكفر؛ لأن الخلود الأبدي الدائم إنما يكون في الكفار الجاحدين، وما جاء في كتاب الله من ذكر الخلود للمؤمنين كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء:٩٣]، فإنما يراد بالتخليد تطويل المدة عليه في العذاب، ولا يقتضي التأبيد كما يقتضي خلود الكافرين، ويحتمل أن يكون تأويل الحديث: من قتل نفسه على وجه الاستحلال والردة فجزاؤه ما ذكر في الحديث؛ لأن فاعل ذلك كافر لا محال»[(١)].

وحكى ابن القيم قولًا قيمًا في ذكر بعض موانع العقوبات فقال: «وقالت فرقة سابعة: هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سببٌ للعقوبة ومقتضٍ لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع، فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص، فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين»[(٢)].

ومما يدل على عظم حرمة النفس وأن قتلها والإلقاء بها إلى التهلكة والتهاون في المحافظة عليها ذنب كبير متوعد فاعله بدخول النار قصة سرية عبد الله بن

(١) شرح ابن بطال (٢٠/ ٨٦).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٩٦-٣٩٧)، وانظر نحوه في: شرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ١٨، ٨٣/ ١٥٩).

حذافة السهمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أمر من معه بالاقتحام في النار، فهموا بذلك ثم جعل بعضهم يمنع بعضًا حتى خمدت النار، فلما بلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم ذلك، وقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا، إنما الطاعة في المعروف**»(١). قال ابن حجر: «يعني: أن الدخول فيها معصية، والعاصي يستحق النار، ويحتمل أن يكون المراد: لو دخلوها مستحلين لما خرجوا منها أبدًا، وعلى هذا ففي العبارة نوع من أنواع البديع وهو الاستخدام؛ لأن الضمير في قوله: «**لو دخلوها**» للنار التي أوقدوها، والضمير في قوله: «**ما خرجوا منها أبدًا**» لنار الآخرة؛ لأنهم ارتكبوا ما نهوا عنه من قتل أنفسهم»(٢)، وبيّن لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن طاعة الأمير إنما هي في المعروف وما كان منه في غير معصية.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٦/ ٢٦١٢/ ٦٧٢٦)، وورد في سبب أمره لهم بذلك أنه غضب عليهم في أمر، وفي رواية أنه كان فيه دعابة، فكان يضحك معهم. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٩).

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٠).

المطلب الثالث

التعذيب بما قتل به نفسه

مر في المطلب السابق الحديث عن عذاب قاتل نفسه في النار بجنس ما قتل به نفسه في الدنيا، وسبق ذكر حديث ثابت بن الضحاك عند البخاري[(١)]: «**ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**»، ورواية مسلم[(٢)]: «**من ذبح نفسه بشيء ذبح به يوم القيامة**».

أي: من قتل نفسه بشيء مما ذكر في الحديث أو بغيره فإنه يعذب به، أي: بالشيء الذي قتل به نفسه أو بمثله، يعني: يجازى بجنس عمله[(٣)]، فمن قتل نفسه ترديًا من شاهق عوقب بالتردي من جبال النار إلى أوديتها، ومن قتل نفسه بتناول السم عوقب بتجرع السم وشربه في تمهل في نار جهنم كقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٦، ١٧]، ومن قتل نفسه بآلة من حديد كسيف أو سكين أو رصاص عوقب بطعن نفسه بمثل ذلك في نار جهنم، ومن قتل نفسه خنقًا عوقب بخنقها في النار؛ وذلك لأن نفس الإنسان ليست ملكًا له، وإنما هي ملك لله تعالى، وهو المتصرف بها، فهي عنده أمانة قد خان فيها بانتحاره، فالجزاء من جنس العمل، فاستحق العذاب والقصاص بمثل ما فعل.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٦).

(٣) انظر: عمدة القاري (٢٢/ ١٢٥،٢٣/ ١٨٠)، تحفة الأحوذي (٦/ ١٦٤).

قال ابن دقيق العيد: «هذا من باب مجانسة العقوبات الأخروية للجنايات الدنيوية، ويؤخذ منه أن جناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره في الإثم؛ لأن نفسه ليست ملكًا له مطلقًا بل هي لله تعالى، فلا يتصرف فيها إلا بما أذن له فيه»[(١)].

وهذا نظير تعذيب المرأة التي رآها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النار تخدشها هرة، فلما سأل عنها قالوا: حبستها حتى ماتت جوعًا: لا أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض[(٢)]، فعوقبت في النار بالهرة التي عذبتها بالحبس.

قال ابن بطال: «المجازاة على الخير والشر قد تكون يوم القيامة من جنس الأعمال، فهذه جوزيت بنظير معصيتها»[(٣)]، وقال: «**من قتل نفسه بحديدة عذب بها، والمرأة التي قتلت الهرة جوعًا عذبت بها. وحسبك بهذا التعذيب تنفيرًا من قتل الإنسان لنفسه**»[(٤)]. قال التوربشتي: «لما كان الإنسان بصدد أن يحمله الضجر والحمق والغضب على إتلاف نفسه، ويسوّل له الشيطان أن الخطب فيه يسير، وهو أهون من قتل نفس أخرى حرم قتلها عليه، وإذا لم يكن لنفسه مطالب من قبل الخلق فالله يغفر له، أعلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المكلفين أنهم مسؤولون عن ذلك يوم القيامة، ومعذبون به عذابًا شديدًا، وإن ذلك في التحريم كقتل سائر النفوس المحرمة»[(٥)].

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٥٣٩).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب ما يقول بعد التكبير (١/ ١٤٩/ ٧٤٥).
(٣) شرح ابن بطال (١٢/ ٢٠).
(٤) شرح ابن بطال (٣/ ٤٢٤).
(٥) مرقاة المفاتيح (٧/ ١١).

المبحث الثالث

نفي العقوبة عن قتل النفس خطأ

المبحث الثالث

نفي العقوبة عن قتل النفس خطأ

دلت السنة على نفي الإثم والعقوبة على من قتل نفسه خطأ بأي وسيلة كانت.

أخرج البخاري[(١)] بسنده عن سلمة قال: «خرجنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيبر فقال رجل منهم: أسمعنا يا عامر[(٢)] من هنياتك، فحدا بهم. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **من السائق؟** قالوا: عامر، فقال: **رحمه الله**. فقالوا: يا رسول الله هلا أمتعتنا به؟ فأصيب صبيحة ليلته، فقال القوم: حبط عمله؛ قتل نفسه. فلما رجعت وهم يتحدثون أن عامرًا حبط عمله، فجئت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا نبي الله، فداك أبي وأمي، زعموا أن عامرًا حبط عمله. فقال: **كذب من قالها، إن له لأجرين اثنين، إنه لجاهد مجاهد، وأي قتل يزيده عليه؟**».

وفي رواية عند الطبراني[(٣)]: فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كذبوا والذي نفسي بيده، لكأني أنظر إليه في الجنة يعوم عومان الدعموص**[(٤)]. وفي رواية عند

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب إذا قتل نفسه خطأ فلا دية له (٦/ ٢٥٢٥/ ٦٤٩٦).

(٢) عامر بن سنان الأسلمي كان شاعرًا، وسار مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيبر، وكان يرتجز لهم في الغزوة، وقتل يوم خيبر شهيدًا، وذلك أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل، فجرحه جرحًا شديدًا؛ فمات منه. انظر: أسد الغابة (٣/ ٢٠-٢١).

(٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (٧/ ٢٥/ ٦٢٨٤).

(٤) **الدعموص -بالضم-:** دويبة تغوص في الماء، والجمع: الدعاميص، والدعامص. ودعمص الماء إذا كثرت دعاميصه. انظر: تاج العروس (١/ ٤٤٤٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٦٦).

عبد الرزاق[(١)]: فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يقول هذا؟** قال: أُبي -يا رسول الله- قالها. قال: **رحمه الله**. قال: يا رسول الله، قد يأبى الناس الصلاة عليه مخافة أن يكون قتل نفسه. فقال: **كلا، بل مات مجاهدًا، له أجران اثنان**». قال الزهري: كان ضرب رجلًا من المشركين بسيفه، فأصاب نفسه بسيفه؛ فمات.

وفي رواية عند مسلم[(٢)]: «فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه». وكان سيف عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصيرًا، فتناول به ساق يهودي ليضربه، فرجع سيفه على نفسه، فأصاب ركبته، فجرحه جرحًا شديدًا؛ فمات منه[(٣)]. وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كذب من قالها**» أي: أخطأ، وقوله: «**جاهد مجاهد**» الجاهد: من يرتكب المشقة، ويبذل الجهد في سبيل الله. والمجاهد: من يقاتل أعداء الله لإعلاء كلمة الله.

فامتداح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشهادته له بالشهادة -على الرغم من أن قتله كان بيده- دليلٌ على عدم مؤاخذة من تسبب في قتل نفسه خطأ، سواء

(١) المصنف، كتاب العقول، باب الرجل يصيب نفسه (٩/ ٤١٢/ ١٧٨٢٨).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد (٣/ ١٤٣٣/ ١٨٠٧).
(٣) انظر: فتح الباري (٧/ ٤٦٦)، شرح ابن بطال (١٦/ ٦٣). وقال الأوزاعي وأحمد وإسحاق: تجب ديته على عاقلته، فان عاش فهي له عليهم، وان مات فهي لورثته. وقال الجمهور: لا يجب في ذلك شيء، وقصة عامر هذه حجة لهم؛ إذ لم ينقل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجب في هذه القصة له شيئًا، ولو وجب لبينها؛ إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ ولأنه جنى على نفسه فلم يضمنه غيره؛ ولأن وجوب الدية على العاقلة في الخطأ إنما كالمواساة للجاني وتخفيفًا عنه، وليس على الجاني هنا شيء يحتاج إلى الإعانة والمواساة، فلا وجه لإيجابه. وقد أجمعوا على أنه لو قطع طرفًا من أطرافه عمدًا أو خطأ لا يجب فيه شيء. انظر: فتح الباري (١٢/ ٢١٨)، وانظر: شرح مشكل الآثار (٥/ ٤٥٣).

أكان ذلك في الجهاد بأن قُتل بسلاحه -كما لو أراد إطلاق قذيفة، فانفجرت فيه، أو رجعت عليه كلها أو بعضها، قال ابن قدامة: «فإن كان الشهيد عاد إليه سلاحه فقتله، فهو كالمقتول بأيدي العدو»[(١)]- أم كان ذلك في غير جهاد بأن أصاب نفسه من غير قصد إصابة كان فيها حتفه بأي وسيلة كانت. وأخرج أبو داود[(٢)] عن أبي سلام عن رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أغرنا على حي من جهينة، فطلب رجل من المسلمين رجلًا منهم، فضربه، فأخطأه، وأصاب نفسه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أخوكم يا معشر المسلمين**، فابتدره الناس فوجدوه قد مات، فلفه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثيابه ودمائه، وصلى عليه، ودفنه. فقالوا: يا رسول الله، أشهيد هو؟ قال: **نعم، وأنا له شهيد**». قال الشوكاني: «ظاهره أنه لم يغسله، ولا أمر بغسله، فيكون من أدلة القائلين بأن الشهيد لا يغسل كما تقدم، وهو يدل على أن من قتل نفسه في المعركة خطأ حكمه حكم من قتله غيره في ترك الغسل»[(٣)].

(١) المغني (٢/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الرجل يموت بسلاحه (٢/ ٢٤/ ٢٥٣٩)، وقال الشوكاني: «الحديث سكت عنه أبو داود والمنذري، وفي إسناده سلام بن أبي سلام، وهو مجهول. وقال أبو داود بعد إخراجه عن سلام المذكور: إنما هو عن زيد بن سلام عن جده أبي سلام انتهى، وزيد ثقة». نيل الأوطار (٤/ ٦٢).

(٣) نيل الأوطار (٤/ ٦٢).

الفصل الثالث

أسباب الانتحار وسبل الوقاية منه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الذاتية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجهل بالدين وعلاجه.

المطلب الثاني: الجزع وعدم الصبر، وعلاجه.

المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية.

المبحث الأول

الأسبـــاب الذاتيـــة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجهل بالدين وعلاجه.

المطلب الثاني: الجزع وعدم الصبر، وعلاجه.

الفصل الثالث: أسباب الانتحار وسبل الوقاية منه[١]

الانتحار فعل عدائي مستهجن يقوم به الإنسان ضد نفسه، ولا شك أن من قام بهذا الفعل طائعًا مختارًا جانيًا على نفسه بالقتل لم يُقدم عليه من فراغ، بل كانت هناك أسباب دفعته إلى ذلك، وهي إما أسباب ذاتية خاصة بالمنتحر، وإما أسباب اجتماعية، وهذا ما سيتم تناوله إن شاء الله في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: الأسباب الذاتية

إن من الأسباب الذاتية للانتحار: اشتداد وطأة المرض، واليأس من الشفاء، والخوف على النفس من كثرة المعاصي، والرغبة في التكفير عن الآثام، والخوف من الوقوع في الذنوب، وضيق الرزق، وتراكم الديون، وفوات حظ دنيوي من مال أو زوجة أو وظيفة أو دراسة... إلخ. هذه الأسباب ونحوها هي دوافع دفعت المنتحر إلى قتل نفسه، والمتأمل في هذه الأسباب يجدها أمورًا تحدث لمعظم الناس، فلماذا لا ينتحرون جميعًا؟! ولماذا أثّرت هذه الأمور في المنتحر دون غيره من الناس الذين قد يصيبهم أكثر مما أصابه؟! من هنا يمكن القول: إنه مهما تعددت أسباب الانتحار الذاتية التي دفعت المنتحر إلى الانتحار، فإنها ترجع إلى سبب رئيس واحد، وهو ضعف الإيمان بالله تعالى، وهذا الضعف يتجلى في أمرين: الجهل بالدين، والجزع وعدم الصبر. وهذا ما سيتم الحديث عنه كأسباب حقيقية ذاتية في المنتحر في المطلبين الآتيين:

---

(١) المراد بالأسباب هنا: الأسباب التي تدفع الأسوياء للانتحار ممن توفرت فيهم أركان المسؤولية الثلاثة: العقل، والبلوغ، والإرادة، أما الذين ينتحرون بسبب أمراض نفسية أو عقلية تجعلهم غير مدركين لتصرفاتهم فلا يشملهم البحث. ثم إن هذه الأسباب التي ستُذكر سواء الذاتية أم الاجتماعية هي أسباب مستفادة من أقوال المنتحرين التي تركوها قبل انتحارهم، و مما أخبر عنهم ذووهم أو المقربون إليهم، ومن الأسئلة التي يقدمها الذين يرغبون في الانتحار لعلماء الأمة في كل مكان، وهي مبثوثة في كتب الفتاوى المختلفة، وفي المواقع الإسلامية للإفتاء على الشبكة العنكبوتية، ومن موقع منظمة الصحة العالمية (who.int).

المطلب الأول

الجهل بالدين، وعلاجه

لا شك أن الجهل بالدين وبأحكامه يقود إلى ارتكاب المعاصي والوقوع في سائر المحرمات، ومنها الانتحار. فالجهل بحكم الانتحار أو بعاقبته الوخيمة يوقع الإنسان فيه، حيث يظن لجهله أنه بالانتحار سيخرج من الضائقة التي ألمت به إلى الراحة، بينما هو بفعله هذا قد استجلب غضب الله، وعرض نفسه لعذاب النار والحرمان من دخول الجنة، فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار. والجهل بالدين سم مهلك؛ لأنه سبب لكل ألوان المعاصي والقبائح على اختلاف صورها وأشكالها، وسبب في التفريط في أمانة التكليف، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢]. فالظلم والجهل سببان لانحراف الناس إلا من زكى نفسه بالعلم النافع؛ فخلصها من الجهل، وجاهدها في الانتفاع بما علم؛ فخلصها من الظلم، وإلا بقي على أصل خلقته، يقول ابن تيمية: «الظلم والجهل هما أصل كل شر»(١).

وما من أحد يتجرأ على فعل كبيرة من الكبائر كالانتحار إلا للجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله وحكمته، والجهل بوعده ووعيده وبما في يوم القيامة من أنواع الجزاء للطائعين والعاصين، والجهل بأحكام الشرع وبما يجب وما يحل وما يحرم. فكل من عصى الله فهو جاهل؛ لأنه لو علم عظمة الله تعالى، واستحضر عقوبة

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٧).

المعصية وحقيقة ما تؤول إليه، لما أقدم عليها. فالمنتحر لو علم ما وراء الانتحار من العقوبة والنكال لما أقدم عليه بل لما فكر فيه. ولعظيم ضرر الجهل في حياة الناس وعمق أثره فيهم ندد الله تعالى به في كتابه، وقرنه بالمعصية في مواضع كثيرة: قال تعالى معاتبًا نبيه نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ على سؤاله نجاة ابنه الذي لم يؤمن: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]، وأمر الله نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينكر على قومه دعوتهم إياه إلى عبادة غير الله تعالى فقال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر:٦٤]، وأنكر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه معصيتهم بسؤالهم إياه طرد المؤمنين فقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود:٢٩]، وأنكر لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه فعل الفاحشة فقال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل:٥٥]، وأنكر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على أبنائه فعلتهم بيوسف وأخيه فقال: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩]، وأنكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه ظنهم أنه يتقول على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]، كما أنكر على قومه حين سألوه أن يجعل لهم إلهًا، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، ودعا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه أن يصرف عنه كيد النسوة حتى لا يقع في المعصية، فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]. فالجهل سبب في الكفر والشرك وعبادة الأصنام، وسبب في تكذيب الرسل ومحاربتهم والصد عن سبيل الله، وسبب في القتل وسفك الدماء وسلب

الحقوق، و سبب في الوقوع في الكبائر والفواحش؛ لذا أمر الله تعالى بالاستزادة من العلم، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وأخبر عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -مع ما أوتي من العلم- قوله للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]. وكثيرًا ما يعبر القرآن عن العلم والإيمان بالنور، وعن الجهل والكفر بالظلمة، قال تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]. فالعلم نور، والجهل ظلمة، وكلما زاد حظ العبد من العلم الشرعي زاد حظه من النور الإلهي الذي يميز به بين الحق والباطل. وإنما أنعم الله تعالى على عباده بنعمة السمع والبصر والفؤاد لأجل إزالة الجهل، واجتلاب العلم، والعمل به، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، فلا يستوي من أحيا قلبه بالعلم النافع الذي يثمر محبة الله وخشيته والبعد عن معاصيه بالذي أمات قلبه بالجهل بدينه حتى أصبح فريسة للأوهام والشكوك والوساوس. وكلما كان العبد بالله أعرف كان منه أخوف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]. وقد كان أشدَّ الناس خشية لله تعالى نبيُّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكمال معرفته بربه، وامتلاء قلبه بتعظيمه، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عرضت علي الجنة والنار، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا**». قال -أي: أنس- فما أتى على أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أشد منه، قال:

«**غطوا رؤوسهم، ولهم خنين**»(١). وفي رواية الترمذي(٢) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدًا، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله**».

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل طلب العلم وأهميته وأثره على النفس، كلها تدل على أن خير الدنيا والآخرة في العلم، وشر الدنيا والآخرة في الجهل. ولعل من أعظم هذه الأحاديث ترغيبًا في طلب العلم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(٣)، فالتفقه في الدين من علامات السعادة والخير في العاجل والآجل؛ لأن الإنسان إذا تعلم وتفقه في الدين عرف مآلات الأمور وعواقبها؛ فعظم خوفه من الله، وحرص على ما يخلصه من غضبه وأليم عقابه، فاستقام على النهج القويم والصراط المستقيم. ولذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(٤)، والمراد: علم ما لا يسع المسلم جهله من أحكام الدين ومعرفة الحلال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤/ ١٨٣٢/ ٢٣٥٩).
(٢) الترمذي، كتاب الزهد، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو تعلمون ما أعلم (٤/ ٥٥٦/ ٢٣١٢)، وقال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٩٩).
(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين (١/ ٣٩/ ٧١).
(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٨١/ ٢٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٩٦/ ٤٠٣٥)، وله شواهد عديدة، وصححه السيوطي في الجامع الصغير: (٢/ ٥٤) وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٣/ ٤٣٥)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٧).

والحرام. فتعلم ما يتوقف عليه فعل الواجب وترك المحرم فرض عين على كل مسلم مكلف، والمراد بالعلم هنا: العلم الشرعي الذي يتبعه عمل صالح يثمر الحياة الطيبة ويحقق السعادة ويطمئن النفس ويجلب الأمن، علم يقوي العزيمة ويقضي على مظاهر اليأس والإخفاق، علم يورث الاستقامة ويورث الاستغفار ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد:١٩]، فلا يقتصر معنى الجهل بالدين على عدم العلم فقط بل يراد به أيضًا عدم العمل بالعلم، فما الفائدة من أن يستظهر المسلم أحكام الشرع وأدلته ولا يُرى أثرها عليه في عبادة ولا عمل؟! يقول ابن تيمية: «لفظ الجهل يعبر به عن عدم العلم، ويعبر به عن عدم العمل بموجب العلم»(١)، ويقول ابن القيم: «قال قتادة: أجمع أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كل من عصى الله فهو جاهل، وليس المراد أنه جاهل بالتحريم؛ إذ لو كان جاهلًا لم يكن عاصيًا، فلا يترتب الحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة على جاهل بالتحريم، بل نفس الذنب يسمى جهلًا، وإن علم مرتكبه بتحريمه إما أنه لا يصدر إلا عن ضعف العلم ونقصانه، وذلك جهل، فسمي باسم سببه، وإما تنزيلًا لفاعله منزلة الجاهل به»(٢).

فلا سعادة للعبد في الدنيا ولا نجاة له في الآخرة إلا إذا علم وعمل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرسل نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للعالمين، قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فشريعته رحمة لا يحصل لمن تعلمها وعمل بها شقاء ولا ضيق ولا ضنك. وتظهر أهمية العلم والعمل به فيما أمرنا الله تعالى به من قراءة

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٩).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٠١).

سورة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة، وفيها: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، والمراد بالهداية: معرفة الحق، ومحبته، وانشراح القلب له، والتوفيق للعمل به؛ ليتميز المسلم عن المغضوب عليهم الذين علموا الحق ولم يعملوا به، والضالين الذين جهلوا الحق ولم يعملوا به، بل اتبعوا أهواءهم وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله تعالى. والشيطان إنما يدخل على الإنسان من باب الجهل؛ فيوقعه في المعصية لقلة علمه. وللأسف إن كثيرًا من أبناء المسلمين اليوم لا يعرفون دينهم إلا معرفة نظرية سطحية لا يُعظم معها الخالق حق تعظيمه، ولا تدرك بها حلاوة الطاعة وثمرتها، ولا قبح المعصية وعاقبتها؛ لذا كثرت الفواحش والمنكرات، واستهان الناس بالمعاصي.

وكثير من الذين يلجؤون إلى الانتحار لا يعلمون شناعة هذا الفعل، وإن علموا تحريمه في الجملة لكنهم لقلة فقههم بما علموا يجهلون عظم هذا الذنب وعاقبته الشنيعة في الآخرة، فيقبلون عليه متساهلين فيه ظانين أنه أقصر الطرق إلى الراحة والخلوص من البلاء، ولو فقهوا عاقبته الوخيمة وما فيه من الوعيد الشديد والعذاب الأليم لما ارتكبوه، ولكن حجب الجهل عنهم حقائق الشرع، فلم ينتبهوا من غفلتهم ويروا العلم مغنمًا يدفع نزغات الشيطان، والجهل مغرمًا يجلب خسارة الدنيا والآخرة.

وإنما تفشى الجهل بالدين في الأمة بسبب إعراض الكثير من أبنائها عن تعلم أمور دينهم وزهدهم في التفقه فيه وتنافسهم في العلوم المادية الصرفة البعيدة عن الدين إلا من فتات لا يسمن ولا يغني من جوع مما أضعف الوازع الديني الذي يثمر خشية الله؛ لذلك لا نستغرب إذا رأينا القوم صرعى للشهوات والشبهات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي أورثت ضيق الصدر وشتات الأمر، ومن ثم الشعور باليأس والإخفاق؛ مما جعل التفكير في الانتحار قريبًا والإقدام عليه سهلًا. ولا يعني ذلك أن هؤلاء لا يؤدون شيئًا من شرائع الدين، أو لا يحفظون شيئًا من القرآن، أو لا يعرفون القبلة، وإنما هم يجهلون من فقه الدين ما يبعدهم عن التفكير في الانتحار. فالواجب على المسلمين كي يقضوا على ألوان المعاصي -وعلى رأسها كبيرة الانتحار- أن ينفوا عن أنفسهم الجهل، وأن يتعلموا من أمور دينهم ما تصح به عقيدتهم وتسلم به قلوبهم وتزكو نفوسهم وتحسن عبادتهم وتتهذب أخلاقهم، وأن ينشروا هذا العلم بين الناس، لاسيما أن وسائل العلم وسبل الاتصال بالعلماء متيسرة اليوم بصورة لم يسبق لها مثيل، وقد قامت عليهم الحجة بهذا التيسير الذي لا يبقى معه لأحد عذر بالجهل. فحاجة الناس إلى العلم الشرعي الذي يزيل عنهم غشاوة الجهل ويقربهم إلى الله أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، والقلوب التي لا تتحصن بالعلم الشرعي تكون عرضة للوقوع في الضلالات، وفي الأفكار السيئة التي تؤدي إلى كثير من المحرمات، ومنها الانتحار. فمن حصن قلبه بالعلم النافع من أن تقر فيه شبهه أو تغلبه شهوة لن يفكر في الانتحار فضلًا عن أن يقدم عليه؛ لأنه قد أنار بصيرته بالعلم وملأ قلبه به، فلم يتسع للأحزان الواقعة عليه بل تعلق قلبه بما عند الله من الثواب والنعيم فصبر واحتسب، وأما الجاهل فقلبه خال من العلم، فارغ للأحزان التي تجلبها المحن والمصائب الدنيوية فيكبر غمه ويزداد همه، ويصبح عند البلاء فريسة سهلة للهموم والأكدار والوساوس والأفكار، يستوحش ممن حوله؛ فلا يجد للحياة طعمًا، ولا بالناس أنساً، يتصور أنه أسوأ الناس حظًا، وأنكدهم

عيشًا، وأشقاهم حالًا، وأكثرهم عناء، فلا يُرى إلا فاقد الأمل واهن العزيمة خائر القوى حتى تضيق عليه نفسه وتضيق عليه الأرض بما رحبت؛ فلا يرى -لجهله- وسيلة تخلصه من هذا البلاء إلا الانتحار. ولا أدل على ذلك من أنه لم يوجد أحد من أهل العلم بالدين قد انتحر أو فكر في الانتحار لضر أصابه على كثرة ما نزل بأهل العلم والصالحين من أنواع البلاء.

وما سبق ذكره من أسباب الانتحار الذاتية ينبئ -ولا شك- عن الجهل بالدين، ولولا خشية الإطالة في هذا المقام لأرفقت به ملحقًا يحتوي على نماذج من الأسئلة الواردة إلى لجان الفتوى المختلفة في العالم الإسلامي المتعلقة بالانتحار، والتي تدل دلالة واضحة على الجهل بالدين، إما من الذين انتحروا أو ممن فكروا في الانتحار، ولعل من أعجبها: أن من الناس من يسافر لبلاد الحرمين؛ لينتحر فيها اعتقادًا منه أن الموت فيها أعظم لأجره[1]! فهل بعد هذا الجهل بالدين من جهل؟!

(١) وهذا نص فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين الحجاج وغيرهم، وفق الله الجميع لما فيه رضاه، وسلك بنا جميعًا صراطه المستقيم... آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد ذكر لي غير واحد من المسلمين أن كثيرًا من الحجاج الوافدين إلى الحرمين الشريفين يعرض نفسه لأسباب الموت رغبة منه في أن يموت في بلاد الحرمين، وذلك بالتساهل في أسباب الوقاية كتعمد البقاء في الشمس الحارة، والتعرض لأخطار السيارات، وغير ذلك من أنواع الخطر على الحياة. ولذلك فإني أنصح إخواني الحجاج وغيرهم بالحذر من هذا التساهل، والبعد عن أسباب الخطر حسب الطاقة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**». والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وإنما المقصود التنبيه والتحذير. وفق الله الجميع لما يرضيه، ورزقنا وجميع المسلمين الفقه في دينه والثبات عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٨/ ٣٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني

الجزع وعدم الصبر وعلاجه

الجزع: نقيض الصبر، وإذا كثر من العبد الجزع فهو جزوع[١]، والجزوع: ضد الصبور على الشر. والجزع: حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه، فهو أبلغ من الحزن[٢]؛ لأن الجزع إظهار ما يلحق المصاب من المضض والغم[٣]. والصبر حبس النفس عن الجزع عند مصادفة المكروه[٤]، أو قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية[٥].

ومن المعلوم أنه لا أحد يخلو في هذه الدنيا من البلاء، وإنما تتفاوت أحوال الناس عند نزوله تفاوتًا عظيمًا، وفوق ناره تتميز معادنهم، فمنهم من يصبر ويسلم الأمر لله منتظرًا الفرج في الدنيا والأجر في الآخرة، ومنهم من يتملكه الجزع ويستولي عليه اليأس ويبلغ به الضجر كل مبلغ. ولا شك أنه لا يقدم على الانتحار إلا عبد أصيب ببلاء: إما في بدنه، أو في ماله، أو في أهله، أو غير ذلك، ولم يستعمل مع هذا البلاء ما أمر به من الصبر، بل جزع مما أصابه، وظن أن أقصر طريق وأسهل وسيلة لرفع هذا البلاء هو الانتحار.

(١) انظر: لسان العرب (٨/ ٤٧).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٢٤٢)، وزاد: «وأصل الجزع: قطع الحبل من نصفه، ولتصور الانقطاع فيه قيل: جزع الوادي؛ لمنعطفه ولانقطاع اللون بتغيره. قيل للخرز المتلون: جزع -بالفتح-، وعنه استعير قولهم: لحم مجزع إذا كان ذا لونين».

(٣) الفروق اللغوية، للعسكري (١ / ٢٠٠).

(٤) انظر: لسان العرب (٤/ ٤٣٧)، الفروق اللغوية (١/ ٢٠٠).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٤٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو تأمل العبد سنة الله في خلقه وما أمر به عباده من الصبر وما وعدهم به من عظيم الأجر لجاهد نفسه في تحمل المكروه، ولم ييأس من الفرج. ومجيء ذكر رحمة الله بالعبد في معرض النهي عن قتل النفس ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩] دليل على أن الله رحيم بعباده، وأن في طيات البلاء رحمات عظيمة يعجز العقل عن إدراكها لكنه موقن بوجودها. والمؤمن منهي عن الجزع عند المحن، سواء أكان الجزع اعتقادًا: بالتضجر من المقدور، والاغتياظ منه، أم قولًا: بالدعاء بالويل، أو بالسب والشتم، أو بالنطق بكلمات الكفر، أو بالشكوى لغير الله(١)، أم فعلًا: بلطم وجه، أو نتف شعر، أو شق جيب، أو كسر آنية، أو قتل النفس. يقول الله تعالى في شأن من لم يثبت عند البلاء ومخبرًا بخسارته: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١]، ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»(٢)، ويقول أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريء من: الصالقة والحالقة، والشاقة»(٣). فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تبرأ ممن يفعل هذه الأمور؛

---

(١) ليس من الجزع من أظهر الشكوى إلى المقربين منه وقلبه راضٍ بقضاء الله، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعائشة -حين قالت: وا رأساه-: «**بل أنا وا رأساه**». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع (٥/ ٢١٤٥/ ٥٣٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب (١/ ٤٣٥/ ١٢٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود (١/ ٩٩/ ١٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة (١/ ٤٣٦/ ١٢٣٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود (١/ ١٠٠/ ١٠٤). والصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة بالنوح والعويل. والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة من شدة الجزع. =

لأنه انحرف عن السنة المحمودة عند الابتلاء، فكيف بمن يقتل نفسه؟! إن التبرم والجزع والضيق والهلع لا يرد قضاء، ولا يرفع بلاء، ولا يجلب ما لم يكتب، بل يزيد الصدر ضيقًا، والأمر تعقيدًا، وقد يدفع صاحبه إلى ما لا تحمد عقباه؛ فيفقد سكينته وهدوءه، وقد يقتل نفسه أو غيره، أو قد يصاب بجنون أو شلل أو غير ذلك من الآفات. ولا انفكاك للعبد عن قدر الله، ولا حيلة له في دفع المصاب، فقدر الله نافذ، وقضاؤه عدل، وحكمته بالغة. والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره ركن من أركان الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا به. كما أن العبد بجزعه يضاعف مصيبته بفوات محبوبه وفوات أجره معًا، بل إن فواتَ الأجر من الصلاة، والرحمة، والهداية أعظمُ من المصيبة ذاتها، فلا هو بجزعه حصل ما يحب، ولا دفع ما يكره.

وقد قضت سنة الله وحكمته أن تتفاوت أنواع البلاء من مرض أو فقد أو إيذاء، فقد يبتلي الله بعض الناس بالمرض؛ فيقل صبره، ويعظم جزعه، ولا يرى وسيلة تخلصه من الآلام إلا الانتحار. مع أن المسلم مأمور ببذل الجهد في التخلق بالصبر ليصبره الله، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومن يتصبر يصبره الله**»(١)، وقد أثنى الله تعالى على أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أعظم ثناء بصبره على البلاء في الجسد، فقال عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٤٤].

والمريض الصابر قريب من الله ما دام موحدًا لله مقيمًا للصلاة، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال:**

= والشاقة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة تسخطًا. ودعوى الجاهلية: كل قول يدل على السخط والجزع من قدر الله تعالى. انظر: شرح مسلم للنووي (٢/ ١١٠)، وفتح الباري (٣/ ١٦٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٢/ ٥٣٤/ ١٤٠٠).

يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»(١).

وإن مما يهون على المريض آلامه ما وعد به من الثواب على صبره، فعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: **إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف؛ فادع الله ألا أتكشف، فدعا لها»(٢).

وإذا صبر المريض على بلائه غبطه الناس يوم القيامة على عظيم أجره، يقول النبي: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض**»(٣).

بل إن من فضل الله وكرمه على عبده المريض أن الله يكتب له ما كان يعمله من عمل صالح أيام صحته، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مسلم يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله الحفظة الذين يحفظونه: أن اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة من الخير على ما كان يعمل ما دام محبوسًا في وثاقي**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض (٤/ ١٩٩٠/ ٢٥٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح (٥/ ٢١٤٠/ ٥٣٢٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٤/ ١٩٩٤/ ٢٥٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر (٤/ ٦٠٣ / ٢٤٠٢)، عن جابر بن عبدالله، وقال: «حديث غريب». وحسن إسناده المناوي، انظر: كشف المناهج والتناقيح (٢/ ٢٣)، وحسنه كذلك الألباني في صحيح الترمذي (٥/ ٤٠٢).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز (١/ ٤٩٩/ ١٢٨٧)، عن عبدالله بن عمرو، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني وقال: «وهو كما قالا». السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٠٦).

ومن المرضى من يستولي عليه الشيطان، ويذكره بكثرة ذنوبه، وقلة حسناته؛ فيغلب عليه الخوف الذي يقنطه من رحمة الله؛ فييأس ويظن أن النجاة في الانتحار، بينما الانتحار يزيده إثمًا بل هو أعظم مما خاف منه من تقصير.

ومن المرضى من يصاب بأمراض خطيرة ويبلغ به اليأس مبلغًا عظيمًا يجعله يرغب في الانتحار لعدم وجود الأمل في الشفاء أو خشية أن ينتقل المرض إلى غيره، مع أن الله قادر على شفائه، وما أنزل داء إلا أنزل له دواء(١).

وقد أخبرنا الله تعالى أن اليأس والقنوط من صفات الكافرين، فقال على لسان يعقوب: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، وقال على لسان إبراهيم: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، كما أن الخوف من تفشي المرض لا محل له في ظل توفر وسائل الوقاية المعروفة، وسبل العزل المشروعة والمتاحة.

ومن الناس من يُبتلى بفقد شيء من الدنيا من أهل أو مال أو تجارة أو نحوها؛ فيجزع لهذا الفقد، ويشتد حزنه، ويضيق صدره، ويبلغ به الغم مبلغه، والهم منتهاه، فلا يجد لكربه متنفسًا ولا لضيقه مخرجًا إلا في الانتحار، وهذا خلاف ما أمر به العبد من الصبر والاحتساب، وقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته -والأمة من بعدها- بالصبر على الفقد حين أرسلت له: أن ابنًا لها قد قُبض، فأرسل إليها قائلًا: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر، ولتحتسب**»(٢).

(١) قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (٥/ ٢١٥١/ ٥٣٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه**» (١/ ٤٣١/ ١٢٢٤).

فأرشدها إلى الصبر، وأعلمها أن الله تعالى هو صاحب الفضل حين يعطي، وهو صاحب الحق حين يأخذ، فله ما أخذ، وله ما أبقى، وكل شيء عنده بمقدار.

ومعنى تحتسب أي: تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها والتقرب إليه بطاعته؛ ليحسب لها ذلك من عملها الصالح، لا أن تنوي به إظهار الجلد، أو طلب المدح، أو اتقاء الشماتة، أو غير ذلك من الأغراض.

فالصبر لوجه الله تعالى يعطي صاحبه قوة معنوية تثبته وقت الشدائد والملمات، ومهما توالت عليه النكبات واستحكمت حوله الشدائد لا يزداد إلا قوة وثباتًا وطاعة واستقامة خاصة إذا بادر إلى ما أمر الله به من قول: إنا لله، وإنا إليه راجعون. يقول ابن القيم: «وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته، أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عَزَّوَجَلَّ حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية. فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضًا فإنه محفوف بعدمين: عدم قبله، وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضًا فإنه ليس هو الذي أوجده من عدمه حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يبقى عليه وجوده، فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي... والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردًا كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته، فكيف يفرح بموجود، أو يأسى على مفقود؟ ففكره في مبدأه ومعاده من أعظم علاج»[(١)].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٩).

والعبد مأمور بالتجلد والأخذ بأسباب القوة، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**»(١) فهذا توجيه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل مؤمن أن يجتهد في تحصيل أسباب القوة والجلد، وأن يقاوم أسباب العجز، ويجتهد في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، وتعويض ما يفوته بكل وسيلة شرعية ممكنة مستعينًا بالله تعالى، ولا يستسلم للعجز الذي يقعده عن نيل مناه، ولا للكسل الذي يحرمه من مبتغاه، فكم فوت العجز من مصالح، وكم جلب الكسل من مآسي.

وقد أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلى التعوذ بالله من العجز والكسل، فكان من دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك من: الهم، والحزن، والعجز، والكسل، والبخل، والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال**»(٢)، فعلى المؤمن أن يحرص على نيل مراده، ويسأل ربه نجاح مقصده، فإن فاته رضي وسلم. ورزق الله واسع، قال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧]، وقال ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢]، وقال في الحديث القدسي: «**يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم**»(٣).

ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فمن العجز قعود العبد عن تحصيل أمر يمكن أن يجلب له خيرًا، أو يدفع عنه شرًا، أو يصلح له حالًا. والدنيا بما فيها

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز (٤/ ٢٠٥٢/ ٢٦٦٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة (٣/ ١٠٥٩/ ٢٧٣٦).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٤/ ٢٥٧٧).

لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وهي أحقر من أن يعرض المسلم فيها نفسه لغضب الله بالانتحار لشيء فاته منها، بل إن أشد آلامها ينساه المؤمن مع أول غمسة له في الجنة، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط ؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**»(١).

ولا يجزع عند المصاب إلا من قصر نظره على ظواهر الأمور ومبادئها، ولم ينظر إلى العواقب والمآلات؛ ولهذا بين الله تعالى لعباده حقيقة الدنيا لئلا يغتر بها أحد أو ييأس على ما فاته منها، فقال: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠]، ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصورًا حال من ملأت الدنيا قلبه: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»(٢).

فوصفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعبودية لأعراض الدنيا التي إن فاته شيء منها انتكس، وهل هناك انتكاس أشد من الانتحار؟ بل إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن مجرد التحسر على ما فات باستعمال كلمة «لو»، فقال: «**فإن لو تفتح عمل**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤسًا في الجنة (٤/ ٢١٦٢/ ٢٨٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٣/ ١٠٥٧/ ٢٧٣٠).

الشيطان»[(١)]؛ لأنها لا تنفع بعد وقوع المكروه، ولا تدفع ما وقع من القدر، فيكون من العبث تمني ما لا مطمع في وقوعه.

كما قد يبتلي الله تعالى بعض العباد ببعض ليختبر صبرهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠]، فقد يفتن المرء بوالديه أو بأحدهما أو بأولاده أو جيرانه أو أقاربه، وقد يبتلى بسوء عشرة أو ظلم أو أذى ممن حوله من: زوج، أو أبناء، أو عشيرة، أو غيرهم، فلا يحتمل ما يجده منهم من سوء المعاملة، أو مضاضة الإعراض، أو سلب الحقوق، ولا يهتدي إلى الصواب في التعامل معهم بما يحفظ دينه ودنياه؛ فيفقد الراحة والطمأنينة، ويعيش في قلق ووحشة، ويعظم يأسه إلى أن ينتهي به الأمر إلى اللجوء إلى الانتحار تخلصًا -بزعمه- من الشقاء الذي يجده، مع أنه مأمور بالصبر، وأن يستعمل مع كل أحد ما أمره الله به من البر أو الصلة أو الحلم أو العفو أو الدعاء، وأن يوطن نفسه على مقابلة الإيذاء بالتحمل والتجاوز مستعينًا بالله تعالى متأسيًا بأنبيائه، فربما أثمر هذا التحمل الخيرَ الكثير والعاقبة الحميدة، قال تعالى في شأن معاشرة الزوجات: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]، وقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥]، كما أن مما يعين العبد على الصبر في هذا المقام النظر إلى الجوانب الحسنة فيمن حوله،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز (٤/ ٢٠٥٢/ ٢٦٦٤).

فهـذا أدعى إلى زوال النكد وتخفيف الضيق، وقـد أكد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المبدأ بقولـه: «**لا يفرك مؤمـن مؤمنة؛ إن كره منها خلقًا رضـي منها آخر**»(١). فلا يجوز للمسلم أن ينتحر تخلصًا من أذى الناس مهما بلغ هذا الإيذاء حتى لو كان بالإكراه عـلى فعـل معصية(٢)، فلا يجوز له الانتحار بحجة الخـوف من غضب الله إن عصاه مكرهًـا، فـإن الله تعالى عفا عن الأمة ما اسـتكرهت عليه بل نفـى الإثم عمن أكره على التلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فقال: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦]، فكيـف بـما دون الكفر من معاصي؟!

فالواجب على العبد إحسان التعامل مع البلاء بأنواعه بما يرضي ربه ويخزي شيطانه، وقد امتلأ القرآن الكريم والسنة النبوية بالكثير من الإرشادات التي يهتدي بنورها المؤمن حين يكون في لجة البلاء تعترضه شتى النكبات، وتتنازعه شتى الصراعات؛ ليجد السكينة والسلوى والراحة والطمأنينة. وفيما يأتي ذكر لأهم هذه الإرشادات:

١ - العلم أن من سنة الله تعالى في هذه الحياة أن جعلها دار ابتلاء واختبار، وقد أخبر سبحانه عباده بسنته فيهم بابتلائهم بشتى المصائب والمحن؛ ليتميز المؤمن من المنافـق والصادق من الكاذب، فقال تعـالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾ [محمد:٣١]، وقال: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (٢/ ١٠٩١/ ١٤٦٩).
(٢) كأن تقتل المرأة نفسها خوفًا من الاغتصاب.

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣]، وقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦]. وإنما أخبر الله تعالى عباده بسنته فيهم؛ ليوطنوا أنفسهم على لزوم الصبر والبعد عن الجزع، وليكونوا على أهبة الاستعداد عند حلول أي ضائقة، فلا يستعظمونها إذا وقعت؛ لأنه ما نزل بهم إلا ما يتوقعونه.

فمن لم يعرف سنة الابتلاء سيفاجأ بما يصيبه من فوات محبوب أو حصول مكروه، ويظن أنه المبتلى الوحيد؛ فيضيق صدره، وتظلم الدنيا في عينيه، وقد يلجأ للانتحار، ولو أن كل مصاب ومهموم تخلص من مصابه وهمومه بالانتحار لم يبق على وجه الأرض أحد! وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»(١).

٢- التأسي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإنهم أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يوعك، فوضعت يدي عليه، فوجدت حرة بين يدي فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله، ما أشدها عليك؟ قال: **إنا كذلك، يضعف لنا البلاء، ويضعف لنا الأجر**. قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: **الأنبياء**. قلت: يا رسول الله، ثم من؟ قال: **ثم الصالحون إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**»(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقاق (٤/ ٢٢٧٢/ ٢٩٥٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/ ١٣٣٤/ ٤٠٢٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٩/ ١١٩) (بنحوه)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني، ينظر: السلسلة (١/ ٢٧٤/ رقم١٤٤)، وصحيح ابن ماجه (٩/ ٢٤).

وسئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الناس أشد بلاء؟ فقال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه من خطيئة**»(١). وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرقه وجع، فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه، فقالت عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الصالحين يشدد عليهم، وإنه لا يصيب مؤمنًا نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت به عنه خطيئة، ورفع بها درجة**»(٢).

ومن تأمل ما قصه الله علينا مما نزل بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من ابتلاءات وهم أرفع الناس درجة، وما كان من صبرهم حتى جاءهم نصر الله لرأى شيئًا عجيبًا يطول المقام بذكره، ولعل ذلك كله يجمعه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام:٣٤].

٣- الاستجابة لما أمر الله به من الصبر عند البلاء، وقد ورد ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور:٤٨]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:١١٥]،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١/ ٢٣٩٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/ ١٣٣٤/ ٤٠٢٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٩/ ١١٩)، وقال: «وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، وصححه الألباني، ينظر: صحيح ابن ماجه (٩/ ٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٢/ ١٥٧/ ٢٥٢٦٤)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الجنائز، ذكر البيان بأن الصالحين قد تشدد عليهم البلايا لم يفعل ذلك بغيرهم، (٧/ ١٨٢/ ٢٩١٩)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات». مجمع الزوائد، الهيثمي (٢/ ٢٩٢).

وقوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ [النحل:١٢٧]، وقوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وبشر الله الصابرين بعظيم الأجر فقال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، فجمع الله في هذه الآية للصابرين أمورًا لم يجمعها لغيرهم، وهي: الصلاة من الله -أي: الثناء والمدح-، والرحمة وهي سائر النعم الدينية والدنيوية المحتفة بالقضاء، والهداية إلى الصراط المستقيم.

قال سعيد بن جبير: «لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة شيئًا لم يعطه الأنبياء قبلهم ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ [البقرة:١٥٦، ١٥٧]، ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب، ألم تسمع إلى قوله: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:٨٤]»(١)، فتضمنت هذه الآية أمرًا من الله بالصبر على البلايا والمحن، سواء أجاءت من الله تعالى بالجوائح في الأموال أو الأمراض في الأبدان أو الموت في الأنفس، أم جاءت من الناس بالقتل أو السلب أو الأذى، وأن يستعمل العبد معها ما أمر الله تعالى به، فإن كانت من عند الله تعالى صبر، وسلم، وأيقن بحكمة الله البالغة، وأذعن لسلطانه القاهر، وعلم أن المصيبة حوت الخير والأجر، وهذا من معاني: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾، وإن كانت من الناس صبر، ولم يتعد ما شرعه الله له من سبل استيفاء الحق، وعلم أن الله ناصره وآخذ له بحقه

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٦٢).

إن التـزم أمره، وهذا من معاني: ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾. ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينًا فضل الصبر ومنزلته: «**الصبر ضياء**»(١)، ويقول: «**ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**»(٢).

فالصبر من أعظم الأخلاق، والفضائل كلها منبثقة منه، فالحلم والعفو والكرم والشجاعة والعدل والأمانة والصدق والعفة والقناعة أصلها ومنبعها: الصبر؛ لأن فيها مغالبة للهوى، وتصديقًا بما وعد به العبد بظهر الغيب، ولذلك أخبر الله تعالى أن خصال الخير لا ينالها إلا الصابرون، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥]، أي: من أوتي قوة في الإرادة، ومضاء في العزيمة، وقدرة على التحمل. والصبر على المصيبة لا ينافي التألم بسببها، فحزن القلب ودمع العين رحمة، والتأوه والأنين توجعًا لا يتعارض مع الصبر إذا كان القلب مطمئنًا إلى قضاء الله تعالى، ولما فاضت عينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رأى ابن ابنته فقيل له: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذه رحمة يضعها الله في قلوب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(٣). فالإحساس بألم المكروه لا يمكن دفعه، وإنما الصبر أن يجاهد العبد نفسه في كظم الحزن، وترك إظهار آثار الجزع. وقد قال الله تعالى مخبرًا عن طبيعة الإنسان: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج:١٩، ٢٠]، أي: إن الإنسان خلق شديد الضجر والحرص،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (١/ ٢٠٣/ ٢٢٣).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف في المسألة (٢/ ٥٣٤/ ١٤٠٠).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ (٦/ ٢٤٥٢/ ٦٢٧٩).

إذا أصابته ضراء جزع و لم يصبر، وإذا أصابته سراء بطر وبخل إلا من زكى نفسه وأطاع خالقه بالمداومة على أداء ما افترضه عليه من الصلاة بلا انقطاع ولا فتور مستمدًا من الله العون راجيًا منه كشف الضر، فهذا لا يشتد هلعه ولا يعظم جزعه بل يسارع فيما يرضي ربه من القول والفعل. وقد بين الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الجزع على فوات المطلوب من الجهل الذي يقبح بأهل العلم والإيمان الاتصاف به، فقال سبحانه: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام:٣٥]، أي: لا تكن من الذين أشتد حزنهم وتحسروا حتى أخرجهم ذلك إلى الجزع الشديد، وإلى ما لا يحل، فلا تحزن على كفرهم؛ فتقارب حال الجاهلين. وقيل: الخطاب له، والمراد الأمة، فإن قلوب المسلمين كانت تضيق من كفر الكافرين وأذيتهم(١). كما نهى الله تعالى عن التضجر الذي يؤدي إلى الغضب، فقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [القلم:٤٨]، ومعلوم ما يؤدي إليه الغضب من خروج الإنسان عن طبيعته، وفعل ما لا ينبغي.

وإنما يكون البلاء خيرًا للمؤمن إذا صبر واحتسب وأيقن أن الله محمود على كل ما يفعله؛ لأنه عليم حكيم، لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، ولا يريد بعبده إلا خيرًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير -وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن- إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(٢). وكثير من المحن تحمل في طياتها منحًا عظيمة، إذ يحصل معها ذل لله تعالى،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤١٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٤/ ٢٢٩٥/ ٢٩٩٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإعراض عن الخلق؛ فيزداد العبد من ربه قربًا، وتصبح النقمة نعمة ورحمة في حق من قابلها بالصبر والاحتساب. كما أنها توجب للمؤمن حسن الظن بالله فيما قضاه، وقوة الرجاء فيما عنده، وزيادة يقين بقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

كما أنها تولد عبادات يؤجر عليها العبد كالتوبة، والاستغفار، والإنابة، والصبر، والرضا، وهذه يؤجر عليها العبد فوق تكفير سيئاته، بل يتبوأ بها المنازل العالية في الدنيا، قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤]. وما من طاعة إلا أجرها مقدر إلا الصبر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠]، وقد وعد الله الصابرين أن يزيدهم هداية وتوفيقًا وثباتًا ومؤانسة بمعيته الخاصة لهم، وأنعم بها من فضيلة! فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣].

٤- اليقين بأن المصائب كفارات للذنوب، وأن الله إذا أراد بعبد خيرًا أصاب منه وطهره بالمحن والبلايا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يصيب المسلم من وصب، ولا نصب، ولا هم، ولا حَزَنٍ، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥/ ٢١٣٧/ ٥٣١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٤/ ١٩٩٢/ ٢٥٧٢)، بنحوه. والوصب: الوجع الدائم. والنصب: التعب. شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٣٠).

فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»(١)، فقد يكون البلاء عقوبة معجلة للعبد على ذنوبه قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠]، وقد يكون البلاء رفعًا لدرجات العبد، إذ قد يكون له منزلة عالية في الجنة لم يبلغها عمله؛ فيبتليه الله ليرفعه بصبره على البلاء إلى تلك المنزلة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الرجل تكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل، فلا يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه ذلك**»(٢).

٥- العلم بأن الابتلاء دليل على محبة الله للعبد، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»(٣). ومحبة الله للعبد غاية مقصوده، ومنتهى أمله؛ لأنها تعني: الإكرام ودخول الجنة، ولذلك جعل الله الصبر سببًا في دخول الجنة، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٧٥]، وقال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء (٥/ ٢١٣٩/ ٥٣٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٤/ ١٩٩١/ ٢٥٧١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز (١/ ٤٩٥/ ١٢٧٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وابن حبان في صحيحه (٧/ ١٦٩/ ٢٩٠٨)، بنحوه. وأبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب (٢/ ٢٠٠/ ٣٠٩٠)، بنحوه وقال ابن حجر: «رجاله ثقات». فتح الباري (١٠/ ١٠٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٨/ ٤٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١/ ٢٣٩٧)، وحسنه. وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/ ١٣٣٨/ ٤٠٣١)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٩/ ٣١) وفي صحيح الجامع (٩/ ٣٢٠).

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان:١٢]، وقد أخبر الله أنه يحب الصابرين، وما من صبر إلا على ابتلاء، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦].

٦- اللجوء إلى الله بالدعاء والتضرع، فإن الله أمر عباده بالدعاء، ووعدهم بالإجابة فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]، وقال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل:٦٢]، وقد علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته كثيرًا من الأدعية يجدون أثرها عند البلاء، منها الدعاء بالرضا بالقضاء قبل نزول البلاء كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأسألك الرضا بعد القضاء**»(١)، ومنها أدعية الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»(٢)، ومنها: «**يا حي، يا قيوم، برحمتك أستغيث**»(٣)، ومنها ما رواه عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أصاب مسلمًا قط هم ولا حزن فقال: «اللهم، إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي في يدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم**

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء (١/ ٧٠٥/ ١٩٢٣) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وابن حبان (٥/ ٣٠٥/ ١٩٧١) وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١/ ٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب (٥/ ٢٣٣٦/ ٥٩٨٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب (٤/ ٢٠٩٢/ ٢٧٣٠).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء (١/ ٦٨٩/ ١٨٧٥)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همي»؛ إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحًا. قالوا: يا رسول الله، ألا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: **بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن»**[(١)].

فهذه أدعية تضمنت الإقرار بتوحيد الألوهية والربوبية وصفة العظمة والحلم والحياة والقيومية، فمن دعا بها بحضور قلب -متأملًا معانيها، متعبدًا بها، موقنًا بالإجابة، مظهرًا للافتقار، معترفًا بأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأنه عبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة- نال مقصوده من ربه بالرحمة والغوث والفرج. ومنها دعوة ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ التي تضمنت توحيد الله، واعتراف العبد بتقصيره وظلمه لنفسه، فهي من أعظم ما تفرج به الكروب، وتكشف به الغموم، وقد أخبر عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**إنه لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قطُّ إلا استجاب الله له**»[(٢)].

وقد خلد الله ذكر أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وباهى به عند نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه دعا ربه بغاية الأدب، وناداه بغاية اللطف، فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، وقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، ففرج الله عنه ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾، ورد عليه أهله وماله ومثلهم

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الدعاء (١/ ٦٩٠/ ١٨٧٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه». وابن حبان: (٣/ ٢٥٣/ ٩٧٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٩٨/ ١٩٩)، وأجاب عن الإرسال الذي أشار إليه الحاكم فقال: «هو سالم منه، فقد ثبت سماعه منه بشهادة جماعة من الأئمة».

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد (٥/ ٥٢٩/ ٣٥٠٥)، والحاكم في المستدرك، (٢/ ٤١٤/ ٣٤٤٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معهم. وقال يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]. كما أن التوبة والاستغفار من أسباب الفلاح ورفع العذاب، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

٧- الاستعانة بالصلاة عند الكروب والشدائد، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٥، ٤٦]، فالصلاة لها دور عظيم في جلاء الأحزان وكشف الغموم، وفي جلب الطمأنينة وحصول السكينة، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وعلى ذلك سار الصالحون في كل زمان ومكان. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر، فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ، فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[(١)]. فالمؤمن يجد في الصلاة قرة عينه، ولذة روحه، وسرور قلبه؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وجعل قرة عيني في الصلاة**»[(٢)]، وكان يقول لبلال: «**يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها**»[(٣)]. والصلاة التي تجلو الغم، وتدفع الهم، وتجلب الأنس، وتريح النفس هي التي تؤدى على أكمل وجه بأن يحسن العبد وضوءَها،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١١٤/ ٢٩٠٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره بإسناد حسن. تفسير الطبري (١/ ١٤).

(٢) أخرجه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء (٧/ ٧٢/ ٣٩٤٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٩/ ١١)، حديث رقم (٣٩٤٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة (٤/ ٢٩٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٠/ ٤٨)، حديث رقم (٤٩٨٥).

ويقبل عليها بقلبه معرضًا عن الالتفات إلى ما سوى الله، ثم يؤديها بخشوع لتكون له الزاد الكافي الذي لا يعطب، والمعين الصافي الذي لا ينضب؛ لأن ما يقرأ فيها من الآيات شفاء لما في صدره من ضيق، ورحمة لما في نفسه من شقاء ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢].

ولعظم دور الصلاة في الإعانة على مواجهة المكاره وتخفيف ما يثقل كاهل الإنسان من شدائد أمر الله بها نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لتكون له أعظم زاد يعينه على تحمل مشاق التبليغ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل:١-٥].

كما أن الجهاد الذي يبذل في تحصيل الخشوع، وفي الالتزام بأحوال وهيئات الصلاة التي لا يسوغ تركها أو الإخلال بها من أعظم ما يربي العبد على الصبر؛ ولذا قال: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٥]، أي: الذين ذلت نفوسهم لأوامر ربهم، واستكانت جوارحهم لطاعته، واطمأنت قلوبهم إلى وعده، وتعلقت نفوسهم بما عنده. ولعل من أسرار إيجاب الفاتحة في الصلاة ما تضمنته من دعاء طلب الاستعانة بالله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾؛ لأن الجهد البشري في مواجهة الشدائد عرضة للتعب والضعف خاصة مع طول الأمد، فكان العبد بحاجة إلى كثرة طلب العون من الله تعالى. كما إن الصلاة الخاشعة خير عاصم من الوقوع في المعصية، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وأي منكر أعظم من أن يقتل الإنسان نفسه؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨- **إحسان الظن بالله في إجابة الدعاء**، فالله تعالى مالك الملك لا يعجزه إغناء كل ذي فاقة، وإيناس كل ذي وحشة، وشفاء كل ذي علة، وهو أرحم بالعباد من أنفسهم ومن أمهاتهم، والمصائب كلها بتقديره لحكمة أرادها، ومن صبر له وتوكل عليه وأحسن الظن به فقد نال الكفاية والهداية، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١]، وقال بعدها منبهًا إلى ما يجب على العبد: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن:١٢، ١٣]، فعلى العبد أن يكون لديه قوة يقين بموعود الله للصابرين، وبأن وعده لا يتخلف في أن يجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون، يقول تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم:٦٠]، فأصل قلة الصبر من ضعف اليقين بحسن الجزاء؛ لأنه لو قوي اليقين لزاد الصبر بسبب قوة الثقة بالعطاء والخلف.

و من رحمة الله أن جعل كل عسر يصيب العبد محفوفًا بيسرين ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٥، ٦]، وإنما يأتي الفرج عند اشتداد الأزمات، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعلم أن مع الصبر النصر، واعلم أن مع الكرب الفرج، واعلم أن مع العسر اليسر**»(١)، وانتظار الفرج عبادة تهون حلاوتها مرارة المصاب، وهذا

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٠٧/ ٢٨٠٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٣/ ٦٣٠٣)، وقال: «هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس ب، إلا أن الشيخين ب لم يخرجا شهاب بن خراش، ولا القداح في الصحيحين، وقد روي الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٩٦،٥/ ٣٨١)، وفي صحيح الجامع (٢٤/ ٢٥٢).

يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عظم أمله بالله حين اشتداد كربه بفقد ابنه الثاني، فقال موقنًا بما عند الله من الفرج: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:٨٣]، وقال: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]. وكلما زادت محبة العبد لله قوي صبره و رضاه عن قضائه؛ لأنه يعلم أنه ما ابتلاه ليعذبه وهو أرحم الراحمين؛ إنما ليمتحن إيمانه، ويرى صبره ورضاه عنه، فإذا صبر سلم دينه وصلحت دنياه، وإذا رضي طاب عيشه وهدأ باله مهما اشتد أو تنوع البلاء. وكلما أحسن الظن بالله تعالى كان الله عند ظن عبده به، يقول أنس: «إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: **كيف تجدك؟** قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف**»(١).

٩- لزوم الرفقة الصالحة المعينة على التقوى، الدالة على الخير، المشيرة بالرشد،

فهي من أعظم ما يعين على الثبات عند المحن والبلايا، وعلى الحفظ من الزيغ عند الفتن والرزايا، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، ومثلها الاقتراب من

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين (٣/ ٣١١/ ٩٨٣)، عن أنس وقال: «حديث حسن»، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٤٨٣)، حديث رقم (٩٨٣).

أهل العلم الذي يبينون الحق للناس، ويرشدونهم إلى ما فيه صلاحهم، ويخلصون النصح لهم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وكم حفظ الله أناسًا كانوا على مشارف الانتحار برفقة صالحة أرشدتهم إلى الصواب، أو بعالم رباني أنار لهم الطريق.

١٠- نظر المصاب إلى من هو أسوأ منه حالًا، وأقل حظًّا، وأكثر افتقارًا؛ فهذا يقود المصاب إلى حمد الله تعالى وشكره على ما أنعم به عليه؛ لأنه بذلك يرى أنه يفوق كثيرًا من الخلق في شتى النعم. وهذا ما أرشدنا إليه النبي ﷺ بقوله: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله**»(١)، ولو استحضر العبد شيئًا من نعم الله عليه في مقابل ما سُلب منه لرأى المفقود لا يساوي شيئًا ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وخلاصة القول: أن الانتحار اعتداء ذاتي من الإنسان على نفسه، فلا سبيل لعلاجه إلا بتحقيق الإيمان بالله داخل النفس، وإحياء العمل بمقتضياته في الحياة، فلا شيء غير الإيمان يقوي الإنسان، ويثبته، ويؤنسه، ويحييه حياة طيبة يشيع فيها الأمن والراحة والسعادة والرضا، ويسودها البر والإحسان والأمل والعمل. فالإيمان وحده هو الذي يطمئن القلوب، ويضبط العواطف، ولن يجد الإنسان طعمًا للحياة الكريمة إلا في ظل الإيمان الذي يربطه بخالقه مدبر الكون، يستمد منه العون على مواجهة الشدائد، ويرجو منه الفرج في الدنيا والأجر في الآخرة. وحين

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٥).

يهتز هذا الإيمان أو يضعف يصبح الإنسان كريشة تتقاذفها الريح يمنة ويسرة، لا يقر له قرار، ولا يجد ركنًا شديدًا يأوي إليه من شدائد الأزمات؛ فيجزع من الضر، ويتكدر من الفقر، وتمزقه الحيرة، ويلازمه القلق من أدنى ابتلاء يتعرض له. والمتأمل في حال من لا يؤمن بالله يرى ذلك واضحًا جليًّا حيث لم يترك أحدهم مسلكًا يحقق له السعادة من وجهة نظره إلا سلكه، فما ازداد إلا تعاسة واكتئابًا، ولم يرو غليله شيء حتى إذا بلغ به الشقاء مبلغه والاكتئاب غايته لم يجد وسيلة للراحة إلا في الانتحار؛ لأنه لم يذق طعم الإيمان، ولم يتفيأ ظلاله الوارفة يأوي إليها من لفحات الشدائد وهجير الأزمات. وإحصائيات الانتحار عند هؤلاء بأرقامها المذهلة[1] تنبئ عما

(١) «ارتفعت نسبة الانتحار في أمريكا حتى وصلت حوالي ٧٠٠٠٠ أمريكي كل عام، وكانت أكبر الزيادات في نسبة الانتحار بين شباب العقد الثالث، فالولايات المتحدة – على سبيل المثال – تحظى بنصيب الأسد في عدد المقدمين على الانتحار؛ فقد بلغ عددهم في عام واحد ما يقارب الربع مليون شخص، أي: بمعدل ١٢٠ شخصًا يوميًّا... أما في بريطانيا وحدها فقد بلغ عدد ضحايا الانتحار ٤٠ ألف شخص خلال عام واحد. وأما في فرنسا فالنسبة تتزايد، وإليك مثالًا قريبًا في هذا الشأن، حيث جاء في صحيفة الشرق الأوسط في العدد ٧٣٧٦ في ٢١/ ١٠/ ١٤١٩هـ ما نصه: ألف منتحر سنويًّا في فرنسا، وتحت هذا العنوان ذكرت الصحيفة ما يأتي: قالت وزارة الصحة الفرنسية: إن الانتحار هو ثالث أهم أسباب الوفاة بين الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن ٧٠ عامًا في فرنسا، وأنه كل ٤٣ دقيقة تقع حالة انتحار، وأضافت الوزارة في تقرير لها أن ١٢ ألف شخص يقتلون أنفسهم كل عام، وأن ١٦٠ ألف شخص آخرين يحاولون الانتحار لكنهم يخفقون، ويأتي الانتحار بعد السرطان وأمراض القلب، وقبل حوادث السيارات كسبب رئيس للوفاة في فرنسا، وقالت الوزارة: إن الانتحار كان أهم أسباب للوفاة بين الأشخاص الذين تراوحت أعمارهم بين ١٥ – ٢٤ عامًا في عام ١٩٩٣م. وبدأت الحكومة الفرنسية في فبراير شباط ١٩٩٨م حملة قومية تستمر ثلاثة أعوام؛ لخفض معدلات الانتحار الذي تضاعفت على مدى الأعوام الخمسة والعشرين الماضية. وهكذا تتزايد نسبة الانتحار في الدول الراقية ماديًّا كالسويد وسويسرا وغيرهما». التوبة وظيفة العمر. محمد إبراهيم الحمد (١/ ١٨١-١٨٣).

عليه القوم من ضيق ونكد وتعاسة، ولا يزال الانتحار لديهم أفضل وسائل النجاة من آلام الحياة، ورخصت لديهم الأنفس حتى أن أحدهم لينتحر لأتفه الأسباب. كما شمل الانتحار لديهم الأغنياء والفقراء والأصحاء والمرضى والصغار والكبار حتى الأطباء النفسانيين الذين يُفزع إليهم لحل المشكلات وتخفيف الأزمات. بل قد بلغ بهم الأمر أن ألفوا كتبًا في كيفية الانتحار بأسرع الطرق(١).

وهاهم يدركون مؤخرًا ما للإيمان بالله من أثر في تقليل نسبة الانتحار عند المسلمين، جاء ذلك في المؤتمر العالمي للتدخل ضد الانتحار الذي عُقد في مونتريال وحضره باحثون وخبراء من مختلف الجنسيات حيث كشفت الخبيرة دانيال سانت لوران أن إحصائيات الانتحار عند شباب العرب والمسلمين لا تكاد تذكر، وأرجعت ذلك إلى أن شباب العرب والمسلمين ربما يكونون محصنين بنظام مناعة عائلي مستقر وبروادع دينية وأخلاقية واجتماعية تجعلهم في منأى عن التفكير في الانتحار(٢).

وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]، والقائل: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، والقائل: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٢، ٥٣].

(١) انظر: الإيمان بالقضاء والقدر، محمد إبراهيم الحمد (ص٧٣).

(٢) نشر هذا الخبر في جريدة الشرق الأوسط. الخميس ١٧/ ذو الحجة/ ١٤٢٥هـ، ٢٧/ يناير/ ٢٠٠٥م، العدد (٩٥٥٧).

المبحث الثاني

الأسباب الاجتماعية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني

الأسباب الاجتماعية

يتناول هذا المبحث ذكر بعض الأسباب الاجتماعية[١] التي قد تدفع البعض للانتحار، وإن كانت ليست مبررًا له؛ لأن المنتحر مكلف ومسؤول عن تصرفاته، ولكن لا بد من التنبيه عليها حتى تكتمل أسباب الوقاية من هذه الكبيرة.

والأسباب الاجتماعية تتمثل في صور عديدة من أنواع الضرر الواقع على الفرد من الأسرة أو من المجتمع، ومن هذه الأسباب: القصور في التربية، التفكك الأسري، المشاحنات بين الزوجين، غياب أحد الوالدين[٢]، الفراغ والبطالة، الإعلام المفتوح.

وفيما يأتي عرض موجز لهذه الأسباب:

القصور في التربية:

إن التقصير في تربية الأبناء التربية الإسلامية الصحيحة بجوانبها المختلفة سبب في وقوعهم في سائر الانحرافات، ومنها الانتحار. فالتربية الإسلامية الصحيحة القائمة على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هي بمثابة السياج الآمن

(١) سبقت الإشارة إلى أن هذه الأسباب مستفادة من أقوال من أقدموا على الانتحار، وتركوا خلفهم ما يبين سبب انتحارهم، أو ممن فكروا في الانتحار، أو من الأسئلة التي تقدم للعلماء من الراغبين في الانتحار لهذه الأسباب، ومن موقع منظمة الصحة العالمية (who.int).

(٢) أظهرت الدراسة التي قام بها د. ذياب البداينة أن الأسباب العائلية احتلت المرتبة الأولى من حيث مسؤوليتها عن الانتحار. انظر: جريمة قتل النفس في المجتمع الأردني، ذياب البداينة (ص٥٦٧، ٥٩٨).

الذي يحمي الأبناء من كل شر في الدنيا والآخرة. ولأن الأسرة هي المحضن الأول الذي يتربى فيه الأبناء، وفيه تتشكل شخصياتهم، وجب أن يتوفر في هذا المحضن: الإيمان، والأمان، والرحمة، والإحسان. فعلى الآباء مسؤولية عظيمة في جعل هذه المعاني في الأسرة واقعًا معاشًا ينعم في ظلها الأبناء بحياة سعيدة هانئة، والآيات والأحاديث الواردة في بيان مسؤولية الآباء عن الأبناء، والحرص على إسعادهم، ووقايتهم من النار، أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تعدد.

فمسؤولية الآباء عن إعداد الأبناء إيمانيًّا وخلقيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا كبيرة جدًّا، ودائمة لا تنقطع، ولا يمكن أن يتم هذا الإعداد إلا في ظل أسرة متماسكة تتميز بالجدية في التربية، وبحسن التعامل مع الأبناء، وبقوة الصلة بهم ودوام الملازمة لهم؛ حتى ينشأ الأبناء بنفسيات سوية مستقرة.

وإن من أول الواجبات لتحقيق ذلك غرس عقيدة التوحيد الصافية في نفوس الأبناء منذ الصغر، من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ثم تربية الأبناء على مقتضيات هذه العقيدة من تقوى الله، ومراقبته، واستشعار عظمته، وخشيته في كل زمان ومكان.

والاهتمام بهذا الواجب له أثره في زيادة إيمان الأبناء، وفي قوة نفسياتهم، وصدق صلاحهم، واستقامة جوارحهم، فينشؤون على حب الطاعة، وكراهية الفسق، وبغض الانحراف. فإذا عاشوا على هذه المعاني كان للترغيب والترهيب الأخروي بما ورد في الكتاب والسنة أثر في تحبيبهم في الطاعات وكفهم عن المحرمات، وكفى بذلك سببًا لجلب الراحة والأمان، ومن ثم البعد عن التفكير في الانتحار.

كما أن الاهتمام بتثبيت ركن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومُره له أثره العظيم في نفوس الأبناء، فيُعلّم الأبناء أن مقادير الخلائق قد كتبت قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ولا سبيل لتغيير ما كتب الله[١]؛ حتى يرضوا بما قسم الله لهم، ولا يصابون باليأس والإحباط حين يفقدون ما لم يكتب لهم، فإذا خالط الإيمان بالقدر شغاف قلوبهم أعطاهم قوة يواجهون بها شتى الصعاب.

وإن من أعظم ما يجب على الوالدين وبه يحفظ الأبناء من مزالق الانحرافات تحبيبهم في الصلاة منذ الصغر، وتعويدهم على ارتياد المساجد؛ لترتبط قلوبهم بالصلاة التي هي خير معين لهم على مواجهة مصاعب الحياة، فهي التي أمر الله بالاستعانة بها عند الشدائد، وتشجيعهم على ملازمة حلق الذكر؛ ليتعلموا الحلال والحرام، ويسمعوا المواعظ التي تحببهم في الجنة، وترهبهم من النار، فتطمئنّ قلوبهم بما يسمعون من آيات الله والحكمة، وتنزل عليهم السكينة، ولا شك أن لهذا أثره البالغ في هدوء النفس واطمئنان القلب الذي يفتقده من يفكر في الانتحار.

كما يجب على الآباء تعويد أبنائهم على مداومة ذكر الله في أحوالهم كلها؛ ليكونوا في حفظ من الله، وفي حصن من وساوس الشيطان ونزغاته.

وأنى لمن تربى على مداومة ذكر الله فاطمأن قلبه أن يفكر في الانتحار لضيق أصابه؟! كما يجب تدريب الأبناء على مكارم الأخلاق، ومنها -على سبيل المثال-

(١) عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء**». صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٤/ ٢٠٤٤/ ٢٦٥٣).

الحلم الذي ينال بالتحلم؛ حتى تخف لديهم حدة الغضب، ومنها الصبر والقدرة على ضبط النفس في مواطن الانفعالات.

كما يجب على الآباء الرفق بأبنائهم، وانتهاج منهج الوسط في تربيتهم، والبعد عن القسوة في التعامل معهم؛ وذلك لإيجاد التوازن في حياة الأبناء، فلا يطغى جانب على آخر، حتى يشعر الأبناء أن لديهم متنفسًا مباحًا يخفف عنهم ضغوط الحياة أو أعباء الدراسة، فالتربية القاسية تدمر نفسيات الأبناء، وتحطم معنوياتهم، وقد تدفعهم إلى الهروب من البيت أو إلى الانتحار تخلصًا مما يجدون من ضيق وشدة.
كما يجب على الآباء مراعاة ميول أبنائهم التعليمية، واحترام رغباتهم المستقبلية، وملاحظة الفروق الفردية بينهم، فإن الأبناء يختلفون في استعداداتهم وقدراتهم، فلا ينبغي للآباء أن يقفوا حجر عثرة في طريق ما يميل إليه أبناؤهم، فقد يميل بعضهم إلى التحصيل العلمي لذكائه ونباهته فينبغي أن يشجع على ذلك؛ ليتمكن من تحقيق آماله وطموحاته، واستغلال مواهبه، والاستفادة منها، وبعضهم قد يميل إلى العمل الحرفي المهني أو التجاري فينبغي أن يُخلى بينه وبين ميوله، ويُعطى فرصة لاختيار ما يناسب قدراته، ولا يقلل من شأنه، أو يسخر من إمكانياته، أو يقارن بغيره، ويلام على ما ليس له يد فيه؛ فليست المدرسة الطريق الوحيد للنجاح في الحياة. فإجبار الأبناء على ما لا يتوافق مع ميولهم قد يصيبهم بالفشل والإخفاق؛ فيصبح أحدهم كالمُنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، فلا هو الذي نجح فيما أُجبر عليه، ولا هو الذي خُلي بينه وبين ما يميل إليه، فيقع في صراع فكري ونفسي أليم، ويصاب بالتوتر والقلق الذي يعيق لديه التفكير السليم، وقد يرتد ذلك عليه في صورة سلوك عدواني تجاه نفسه خروجًا من الإحباط الذي يشعر به.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما يجب على الآباء معالجة أخطاء أبنائهم بالحكمة، واختيار أسلوب الإصلاح الذي يلائم الابن ويعالج انحرافه مراعين في ذلك قدر الذنب وعمر الابن، والابتعاد عن العقوبة الجسدية أو أسلوب التقريع والإهانة الذي فيه تقليل من قيمة الابن؛ لئلا يفقد الثقة في قدراته وينطوي على نفسه، وقد يشعر أنه لا فائدة من حياته فيفكر في الانتحار. كما يجب التنبه لمشكلات المراهقين من الأبناء، وتقديم المساعدة اللازمة لهم، ومعاونتهم في حلها، فإن تركها تتفاقم أو ترك المراهق ينفرد بحلها قد يؤدي إلى خلق مشكلات أخرى تزيد الأمر تعقيدًا والمراهق حيرة واضطرابًا؛ فيشعر بالوحدة وبالعجز عن تحمل الأمور، وربما يرى أن أقصر طريق لحل مشكلته هو الانتحار.

كما يجب على الآباء حسن اختيار الرفقة لأبنائهم لما للرفقة الصالحة من أثر بالغ في صلاح الأبناء واكتساب الفضائل الخلقية والنفسية، ولما لها من دور عظيم في التثبيت على الدين عند المحن، والتواصي بالحق والصبر عند الشدائد. وإن من الأمور الهامة التي تحفظ الأبناء وتبعدهم عن الانتحار والتي يجب على الآباء الحرص عليها هي تربية الأبناء على العفاف والحياء وعلى غض البصر والبعد عن مواطن الفتنة؛ وذلك لحمايتهم مما تلوث به المجتمع من علاقات عاطفية غير شرعية. فكم من حالات انتحار حدثت بسبب فشل علاقة محرمة. وعلى الآباء التركيز في هذا الجانب على تربية البنات وإلزامهن بالحجاب الشرعي، ومنعهن من التبرج والسفور، وتعليمهن بأن الحجاب فريضة من الله تعالى وليس عادة متوارثة يسعهن تركها، فالمرأة بما جبلت عليه من العاطفة سريعة التأثر، ضعيفة المقاومة،

وربما تنساق وراء من يمنيها بالأماني الخادعة والوعود الكاذبة؛ فتنزلق في متاهات الرذيلة والفحشاء التي تؤدي في النهاية إلى الانتحار، فكم من حالات الانتحار التي حدثت لدى الفتيات كان سببها التورط في علاقة محرمة أثمرت حملًا محرمًا لم تجد الفتاة مخرجًا منه إلا بالانتحار خوف الفضيحة أو العقاب.

فعلى الآباء بذل غاية الجهد في حماية بناتهن من الانحراف، وتحصينهن من الزلل، خاصة وأن نسبة الانتحار عند الإناث أكثر من الذكور في بعض المناطق. وفي مقابل ذلك يجب البعد عن أسلوب القسوة في تربية البنات، وعن التسلط المقيت الذي يلغي كيان الأنثى، ويمحو شخصيتها، ويجعلها غير قادرة على اتخاذ القرارات وحل المشكلات، فلا ترى حين الشدائد وسيلة للتخلص من الآلام إلا الانتحار؛ وذلك لكثرة قمعها، ومصادرة رأيها وضعف شخصيتها، وقلة خبرتها.

كما أن من أسباب انتحار بعض الإناث ظلمهن بإجبارهن على الزواج بمن لا يرضين به ولا يرغبن فيه، فكم من حالات الانتحار حدثت لهذا السبب، ويقابله عضل البنات عن الزواج بمن يرغبن فيه ممن يرتضى دينه وخلقه لأسباب مادية أو لعصبية جاهلية، وهذا بلا شك مخالف لما أمرت به الشريعة من تيسير أمر الزواج، واعتبار الرضا فيه.

وكل ما سبق يعد من أشكال العنف ضد المرأة الذي يؤدي إلى الإصابة بالاكتئاب، واضطرابات الإجهاد اللاحقة للرضوخ، ومشاكل في النوم، واضطرابات في الأكل، ومحن عاطفية، وانتحار، ومحاولات انتحار[١].

(١) العنف الممارس ضد المرأة (who.int).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما يجب على الآباء الانتباه للظواهر الخطيرة التي تفتك بالجسم والنفس والتي هي بوابة للانتحار كالخمور، والمخدرات، والتدخين، وعدم التساهل في ذلك؛ حتى لا يتعود الأبناء عليها، وتُحدث آثارها فيهم من ضيق واكتئاب وانطوائية وهلوسة، ويصعب حينئذ العلاج، وكثير من حالات الانتحار حدثت بسبب تعاطي المخدرات التي تلي الاكتئاب في أسباب الانتحار.

كما يجب على الأسرة العناية الطبية بمن لديهم أمراض نفسية أو عقلية من الأبناء، وتقديم العلاج اللازم لهم حتى لا تتفاقم حالتهم المرضية في غفلة من الآباء ثم يفاجأ الآباء بحدوث حالة انتحار من جراء تلك الحالات، فإن ٩٠٪ من حالات الانتحار تحدث بسبب الأمراض النفسية ومنها الاكتئاب[(١)].

فيجب التنبه إلى من لديهم بوادر هذه الأمراض؛ لأن الأمراض النفسية تستدعي العلاج كغيرها من الأمراض، بل إن المريض النفسي أشد احتياجًا إلى العلاج؛ لأن ضرره لا يقتصر على نفسه بل يتعدى إلى غيره، وكم من حالات الانتحار التي حدثت قتل فيها المريض مجموعة من أفراد أسرته ثم انتحر. ومما يجب التنبه إليه أيضًا أن الانتحار لا يكون قرارًا ارتجاليًّا مفاجئًا بل له علامات وبوادر تسبقه تظهر على من يفكر فيه، مثل: ترديد عبارات اليأس والقنوط، أو التضجر المتكرر من الحياة، أو التهديد بالانتحار، أو الإخبار عن التفكير فيه، أو محاولة

(١) يقول د. سعيد غرم الله الغامدي المشرف على مركز الطب الشرعي بالرياض: «ثبت لدينا خلال السنتين الأخيرتين حوالي (١٢) حالة يرمي نفسه من أعلى الجسر -جسر وادي لبن بالرياض- وكان أحدهم أستاذًا في جامعة الملك سعود، وآخرهم سائق هندي، وكل هذه الحالات بسبب الأمراض النفسية». ندوة الانتحار، جريدة الرياض، الثلاثاء: ٢٩/ محرم/ ١٤٢٧هـ الموافق: ٢٨/ فبراير/ ٢٠٠٦م، العدد (١٣٧٦٣).

الشروع فيه، أو وجود حالات انتحار في العائلة، أو الرغبة في الانطواء والعزلة لحزن أو فشل، أو فقدان الثقة في النفس، فهذه الأمور يجب أن تؤخذ بجدية تامة، وتعالج في وقتها، ولا تترك حتى تتراكم فيستعصي الإصلاح. ولا بد من الحوار مع من تظهر عليهم هذه البوادر، والإصغاء إليهم، وفهم الأمور كما يرونها، ولا ينبغي تعنيفهم أو الإعراض عنهم، بل هم بحاجة إلى الرحمة بهم، ومساعدتهم في تخطي أزماتهم، وتجاوزها بسلام وأمان، خاصة أن بعضهم قد لا يقصد الموت ابتداء بل يريد جذب انتباه من حوله ليساعدوه في حل مشكلته.

التفكك الأسـري:

يعد التفكك الأسري بصوره المختلفة سببًا في حدوث حالات عديدة من الانتحار، فالنزاعات الأسرية لها أثر بالغ السوء على حياة الأبناء، إذ تؤدي إلى اضطراب شخصياتهم، وإلى وقوعهم في شتى الانحرافات الظاهرة والخفية مما يجعلهم عرضة للتفكير في الانتحار عند أي ابتلاء وشدة، أو عرضة للإصابة بالاكتئاب الذي هو من أكثر أسباب الانتحار[١]. ولن ينشأ أبناء أسوياء في ظل أسرة يسودها الشقاق والتنازع والخلاف، يسمع فيها الأبناء نزاع الوالدين: سبًّا أو شتمًا، أو يرون ذلك عيانًا: ضربًا أو إهانة.

ويعظم الخطب ويشتد الكرب لو هُدم بنيان الأسرة نتيجة هذا النزاع، وطُلقت الأم، وتشتت شمل الأبناء. ويزداد الأمر سوءًا لو تزوج كل من الوالدين بمن يسيء معاملة الأبناء؛ فيعيشون في معاناة مريرة بين ظلم زوج الأم أو بطش زوجة الأب، فلا شك أن هذا كله يؤدي إلى تدمير نفسيات الأبناء، وإلى سلوك طريق

(١) الاكتئاب (who.int).

الانحراف بصوره المختلفة التي تؤدي في نهايتها إلى الانتحار. ولا يقل كثرة غياب الوالدين أو أحدهما خطورة عن انفصالهما، فإن البيت الذي يغيب فيه الأب أو الأم الساعات الطوال دون أن يكون للأبناء نصيب من الوقت والمتابعة والتوجيه لبيت تفرخ فيه سائر الانحرافات التي تفاجئ الآباء بنتائجها المدمرة يومًا ما، فليست المطالب المادية التي يتعذر بها الآباء هي وحدها ما يحتاجه الأبناء، إنما يحتاجون حياة آمنة بالعيش وسط أسرة مستقرة تحت إشراف الأبوين حضورًا ورعاية. ولكي تتم حماية الأبناء من كل سبب يؤدي إلى انحرافهم يجب على الأبوين بذل كل الجهد في المحافظة على كيان الأسرة بأداء كل منهما حقوق الآخر، وبالصبر على بعضهما، وبتغاضي كل منهما عما في الآخر من عيوب.

فالزوج مطالب بحسن عشرة زوجته والصبر على ما فيها من عوج ونقص، ومن الجهل أن يظن أنها ستستقيم له على طريقة، إذ لا بد من مداراتها، وغض الطرف عما لا يعجبه منها، والنظر إلى الجوانب الحسنة فيها وتنميتها وتوظيفها لصالح الأسرة. كما يجب على المرأة أن تعرف قدر الزوج، وأن تؤدي حقه، وتصبر على النقص الذي فيه ما استطاعت، وأن تقدم مصلحة بقاء الأسرة والحفاظ على الأبناء ورعايتهم على مصالحها الخاصة؛ حتى يعيش الأبناء تحت سقف واحد، ينعمون بحياة هانئة، تظللها قوامة الأب وترويها عاطفة الأم[1]. ومع كل ما يبذله الآباء لأبنائهم من جهد في التربية وجهاد في النصيحة لن تظهر له نتيجة أو يُرى له أثر إلا إذا تحققت القدوة الصالحة في الوالدين قولًا وعملًا.

(١) وفي المعاشرة بالمعروف حماية لكل من الزوجين من التفكير في الانتحار إذا شعر أحدهما بظلم صاحبه، ولم يكن لديه من الإيمان والخوف من الله ما يردعه عن معصية الله بالانتحار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البطالة والفـــراغ:

ثبت أن من أسباب الانتحار: البطالة، والفقر، والحاجة إلى المال، ولا شك أن وجود هذه الأسباب في حياة المرء أمر يؤدي إلى الضغط النفسي الذي يولده التوتر والقلق بسبب فقد الحاجات الأساسية في الحياة. ومعلوم أن حالات الانتحار تزداد في فترات الأزمات المالية والمشكلات الاقتصادية لما يعاني منه المحتاجون من إحباط وعجز، مما يتسبب في ارتداد الطاقات على أصحابها بالتفكير في الانتحار أو الشروع فيه؛ نتيجة الشعور بالضيق الذي ولده التباعد بين الرغبة في تلبية الحاجات وتحقيق الطموح وبين فقد الإمكانات أو ضعفها.

فيجب على المجتمع بكافة مؤسساته الحكومية والأهلية حماية أفراده بالسعي في إيجاد فرص عمل مناسبة للعاطلين، وتهيئة الظروف لهم لتعلم سائر الحرف، وفتح باب مزاولة المشاريع التجارية الصغيرة، وتوفير احتياجاتها لهم، وتشجيعهم عليها؛ حتى يشعروا أنهم لبنات صالحة في بناء المجتمع، وليسوا عالة يتكففون الناس ويستجدون العطاء. ولتحقيق ذلك يجب وضع الخطط والبرامج لإقامة معاهد ومراكز تدريبية للتدريب على مختلف المهن حتى تتحسن ظروف هؤلاء، وتتوفر لهم الحاجات الأساسية كالسكن والطعام والشراب والزواج، فيحصل لهم الاستقرار والطمأنينة، ويزول عنهم القلق والاحباط الذي هو من أسباب الانتحار.

وسائل الإعلام:

إن لوسائل الإعلام -المرئية خاصة- أثرًا سيئًا في نشر الانتحار كثقافة عن طريق ما يُعرض من برامج وأفلام تستهدف إفساد الأمة، وتدمير أخلاقها، وبث المبادئ الضالة بين أبنائها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما أكثر ما يُعرض فيها من برامج منافية لتعاليم الإسلام، ومنها أفلام العنف التي تعرض الانتحار بطرق مختلفة، وتصف تنفيذه وصفًا دقيقًا، فيصبح مع التكرار مشهدًا مألوفًا يسهل تقليده، وإذا تُرك الأبناء أمام هذه المشاهد ينهلون منها ثقافتهم فإنهم سيسيرون على خطاها في الفساد والإفساد. وحوادث انتحار صغار السن الذين يقلدون ما يرونه من صور الانتحار كثيرة[(١)]؛ لذا فإن مسؤولية الإعلام المسلم كبيرة في درء هذا الخطر عن أبناء المسلمين وتحصينهم ضده، وذلك بعمل حملات إعلامية وبرامج توعوية: مرئية، ومسموعة، ومقروءة؛ للتصدي لهذا الإفساد ببيان حكم الانتحار، وعاقبته، وسبل الوقاية منه.

كما يجب أن يكون هناك ضوابط محددة عند إعلان حالات الانتحار يُلزم بها من ينشر الخبر، منها أنه إذا تم إعلان عن حالة انتحار لا بد من الإشارة إلى حقيقة الحالة؛ فإن كثيرًا من حالات الانتحار تحدث ممن هم مصابون بأمراض عقلية أو نفسية يكون المنتحر فيها بغير وعيه، فإذا لم تبين الحالة فسيظهر الانتحار على أنه أمر طبيعي وحل اختاره صاحبه، فيؤدي هذا التساهل في البيان إلى إشاعة هذه الجريمة بين الناس[(٢)].

---

(١) نشرت جريدة الرياض بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٧/ يناير/ ٢٠٠٧م العدد ١٤٠٨٦ (ص٢٧)، خبر انتحار سبعة أطفال شنقًا، أعمارهم بين (٨-١٥ سنة)، بعد رؤيتهم إعدام الرئيس العراقي صدام حسين في وسائل الإعلام. ولعل الكثير اطلع على ما نشر في مقطع مرئي لطفل من إحدى دول الخليج وهو جالس على حافة جدار المنزل وتستجديه أمه لينزل فيرد عليها باكيًا ومهددًا بقوله: (اشتري لي دباب، وإلا -والله- انتحر).

(٢) ونتج عن ذلك الكثير من الكتابات على الشبكة العنكبوتية التي يذكر فيها أصحابها أن الانتحار من باب الحرية الشخصية.

كما أنه يجب عند الإعلان عن أي حادثة انتحار ألا تذكر وسيلة الانتحار حتى لا ينبه الناس إلى وسائل قد تكون مجهولة لديهم، كما ينبغي ألا يذكر مبرر الانتحار حتى لا يظن الناس أن الانتحار حل للمشكلات أو وسيلة لرفع البلاء، ويجب أن يُردف الإعلان عن الحادثة ببيان حرمة هذا الفعل، وعاقبته في الآخرة؛ حتى يُعلم مع الخبر بيان الحكم والعاقبة مما يدفع إلى التفكير فيه، وغير ذلك من الضوابط التي تحد من انتشار هذه الكبيرة، وتقضي على دوافعها.

هذا وإن المجتمع بكافة مؤسساته له دور عظيم في معالجة ظاهرة الانتحار ليتكامل دوره مع البيت، ابتداء من المسجد الذي هو خير البقاع، والذي لا يزال عبر العصور الروضة التي تربى فيها الأرواح، وتزكى النفوس، وتهذب الأخلاق. فعن طريق أداء الصلاة تطمئن القلوب، وتنشرح الصدور، وتهدأ النفوس، ولهذا أثره البالغ في تخفيف كل توتر، وإزالة كل قلق. وعن طريق سماع الدروس والمواعظ والإنصات لخطب الجمع يتم تعليم الناس أمور دينهم، وتذكيرهم بالبعد عما يغضب الله ويستوجب عقابه، ويتم توجيههم إلى ما فيه صلاح أمور دينهم ودنياهم، وإرشادهم إلى كيفية حل مشكلاتهم في ضوء الكتاب والسنة، وبث الأمل في نفوسهم، وتحذيرهم من اليأس والقنوط، وتعليمهم الغاية من خلق النفس وحرمة الإضرار بها بأي صورة.

كما أن المسجد ميدان فسيح للتكافل الاجتماعي وتوثيق روابط الأخوة مما يبعد الشعور بالعزلة والانطواء، ويعين على مواجهة مصاعب الحياة، ويبعد التفكير في الانتحار. وللمدارس والجامعات أيضًا دور كبير في الحد من ظاهرة الانتحار،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذلك بأن تسعى بكافة أنشطتها إلى تعميق الإيمان بالله تعالى، وإلى تهذيب أخلاق الطلاب، وتوجيه طاقاتهم إلى الخير، وإلى توثيق روابط الإخاء بين الأساتذة والطلاب، ومعاملتهم بالرحمة والشفقة وسياسة الملاطفة، فإن النفوس إذا أحبت من يوجهها استجابت له، وما تعلقت نفوس الصحابة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسابقوا لطاعته وامتثال أمره إلا لما كان عليه من رحمة وشفقة ولين جانب ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وهذه الأمور لا تتحقق إلا إذا كان الأساتذة على قدر كبير من التأهيل العلمي والتربوي، وهذا يوجب على المدرسة والجامعة الاهتمام برفع مستوى قدرات الأساتذة عن طريق: الدورات العلمية، والبرامج التربوية المختلفة؛ حتى لا يقتصر دورهم على إعطاء المادة العلمية فقط دون الاهتمام بجوانب شخصية الطالب، ولهذا الاهتمام أثره النافع في حماية الطالب وتحصينه من سائر الانحرافات، ومنها الانتحار.

كما أن على المدرسة والجامعة التفطن للظواهر السلوكية الغريبة والشاذة ومعالجتها في حينها، واحتواء من لديه مشكلة ومساعدته على حلها، والاهتمام بتطوير وتفعيل دور الإرشاد الأكاديمي، والتعاون مع أولياء الأمور بعقد الاجتماعات واللقاءات التي تهدف إلى مناقشة أمور الطلاب وأحوالهم ومشكلاتهم التي قد تؤدي من قريب أو بعيد إلى الانتحار، ويمكن استضافة المختصين من أطباء نفسانيين أو غيرهم.

وبتكامل دور الأسرة والمسجد والمدرسة والجامعة، وبالتواصل بينها جميعًا يهتدي الأفراد، وتستقيم الأسر، ويصلح المجتمع، ويتحصن ضد سائر ألوان

الانحراف، وكلما قوي الترابط الأسري وزاد التلاحم الاجتماعي قل التفكير في الانتحار.

كما يجب على المجتمع بكل فئاته معاملة اليائسين معاملة رحيمة، تبعث الأمل في نفوسهم، فهم بحاجة ماسة إلى من يحتويهم، ويستمع إليهم، يبثون إليه الشكوى، ويلتمسون منه المعونة. وكم من الذين فكروا في الانتحار ثم عدلوا عنه عبروا عن سعادتهم حين تحدثوا لمن يثقون به، وصرحوا بأنهم لم يريدوا بالانتحار إنهاء حياتهم بل إنهاء آلامهم التي تلاشت حين وجدوا من يصغي إليهم، ويدلهم على الصواب، وينير لهم الطريق. وقد يكون أحد هؤلاء لديه اضطراب نفسي، أو قلق مرضي، أو خلل وراثي، ويواجه ضغوطًا مختلفة يختل معها تفكيره، ويكون الانتحار خيارًا كامنًا في نفسه، لكن باحتواء من حوله له، ومساندتهم له، تتعدد أمامه الخيارات، ويتخطى العقبات، ويتغلب على الأزمات[١].

(١) بينت التحقيقات الخاصة بحالات الانتحار في المجتمع الكويتي أن جميع هذه الحالات تعاني من الاضطرابات النفسية. انظر: الانتحار في المجتمع الكويتي، مكتب الإنماء الاجتماعي (ص٥٥).

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فمما سبق جمعه ودراسته يمكن استخلاص ما يأتي:

١- الانتحار هو قتل الإنسان نفسه متعمدًا بأي وسيلة يحصل بها زهوق روحه حزنًا أو جزعًا أو ضجرًا، وهو حرام بالكتاب والسنة.

٢- ورد في السنة النبوية ذكر صور عديدة للانتحار كالتردي من الشواهق، وتناول السم، والطعن بالحديد، ونكء الجراح، والخنق، ولا يراد بهذه الصور الحصر بل يقاس عليها كل ما استحدث من وسائل تحقق الغاية نفسها؛ ولذا جاء التعبير في بعض الروايات بالعموم.

٣- وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنتحر بالفجور باعتبار أنه خرج عن الحق، وارتكب كبيرة من الكبائر.

٤- المنتحر وإن كان قد ارتكب كبيرة من الكبائر تعرض بها لعقوبة الله إلا أنه كسائر المسلمين، يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، ويجوز الترحم عليه، والدعاء له، وتعزية أهله وأقاربه.

٥- المنتحر كغيره في وجوب الصلاة عليه إلا أن إمام المسلمين ومن يُقتدى بهم من أهل العلم والتقوى لا يصلون عليه زجرًا لغيره أن يقتدي بفعله، ويصلي عليه عامة الناس.

٦- نصت الأحاديث الصحيحة على أن عقوبةَ قاتل نفسه الحرمانُ من دخول الجنة، والتعذيبُ في النار بما قتل به نفسه.

٧- لا يكفر المنتحر بانتحاره بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء عاقبه بما توعده به بعدله وحكمته، وإن شاء عفا عنه بفضله ورحمته.

٨- دلت الأدلة على أن قاتل نفسه لا يخلد في النار لثبوت الأدلة في عدم تخليد الموحدين في النار، بل يعذب بقدر ذنبه إن لم يعف الله عنه، ثم مصيره إلى الجنة.

٩- دلت السنة على نفي الإثم والمؤاخذة عمن قتل نفسه خطأ بأي وسيلة كانت، سواء أكان ذلك في الجهاد أم غيره.

١٠- للانتحار أسباب ذاتية خاصة بالمنتحر، منها: الجهل بالدين، وقلة التفقّه فيه، والجزع وعدم الصبر عند الشدائد، وأسباب اجتماعية، منها: القصور في التربية، والتفكك الأسري، والمشاحنات بين الزوجين، وغياب أحد الوالدين، والفراغ، والبطالة، والإعلام المفتوح.

١١- ضرورة التعاون الدائم بين البيت والمسجد والمدرسة والجامعة والمجتمع بكافة مؤسساته الحكومية والأهلية -كل في مجاله- للحد من ظاهرة الانتحار.

١٢- ضرورة الاهتمام بالصحة النفسية، والعلاج النفسي من قبل الأسرة والمجتمع لمن يحتاج إلى ذلك. فقد أثبتت الحوادث أن إهمال الأمراض النفسية يؤدي إلى الانتحار، ودلت الإحصائيات أن أكثر المنتحرين هم من المصابون بأمراض نفسية أو عقلية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٣- أهمية تشكيل لجان وطنية ومراكز بحثية تضم مختصين في الدين، والاجتماع، والطب النفسي تقوم بدراسة ظاهرة الانتحار، ومعرفة أسبابها ودوافعها، والأماكن التي تكثر فيها، والفئات النوعية والعمرية التي تقدم عليها، والوسائل المستخدمة في تنفيذها؛ حتى يتم وضع الحلول المناسبة لعلاج هذه الظاهرة والوقاية منها، واقتراح الخطط للقضاء عليها، ويتم ذلك على ضوء البيانات الدقيقة والكاملة الصادرة من وزارة الداخلية، ووزارة الصحة.

١٤- أهمية توفر وسائل اتصال دائمة في جمعيات حقوق الإنسان، كالخطوط الهاتفية المفتوحة تحت إشراف متخصصين يتم عن طريقها الاستماع إلى من لديهم مشكلات ليتلقوا الاستشارات والنصائح التي تخفف من معاناتهم قبل أن تتفاقم وتصل إلى قرار الانتحار، كما ينبغي أن يكون لهذه الجمعيات دور إيجابي وفعال في إصلاح ذات البين؛ لما في ذلك من دور عظيم في إصلاح الأسر، وتجنيبها سائر الكوارث، ومنها الانتحار.

١٥- على مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية المساهمة في توعية المجتمع بكل ما من شأنه أن يقي من دوافع الانتحار المختلفة، ومن ذلك عمل دورات للمقبلين على الزواج تبين لهم منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل مع الأهل حتى لا يقودهم سوء العشرة أو سوء التربية إلى اختيار الانتحار حلًّا للمشكلات، أو إلى الطلاق فيضيع الأبناء، لا سيما أن الدراسات أثبتت كثرة حالات الانتحار بسبب التفكك الأسري.

١٦- تشير الإحصائيات إلى أن كثيرًا من حالات الانتحار هم من العمالة الوافدة؛ لذا فإن هذه الفئة بحاجة إلى التوعية بحكم الانتحار وبعاقبته في الدنيا والآخرة، ولعل خير من يقوم بذلك المكاتب التعاونية لتوعية الجاليات، وذلك بعقد برامج ولقاءات تهدف إلى تعليمهم، وإرشادهم، ومساعدتهم في حل مشكلاتهم النفسية والمالية والاجتماعية[١].

والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا

(١) يقول د. سعيد غرم الله الغامدي المشرف على مركز الطب الشرعي بالرياض: «٩٠ ٪ من العمال الأسيويين الذين يقدمون على الانتحار هو بسبب تلقيهم رسالة من الأهل بأن الأموال التي جمعتها أخذها أخوك أو أخذتها زوجتك واختفت، وغالبًا ما يقدمون على الانتحار شنقًا». ندوة الانتحار جريدة الرياض، الثلاثاء: ٢٩/ محرم/ ١٤٢٧هـ الموافق: ٢٨/ فبراير/ ٢٠٠٦م العدد (١٣٧٦٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس المصادر والمراجع

١- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة. جمع وتعليق وتخريج جمال بن فريحان الحارثي. ط١ طبعة جديدة مزيدة ومنقحة.

٢- الاحتجاج بالقدر. ابن تيمية. ط٤ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت: المكتب الإسلامي) ١٤٠٤هـ

٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول. محمد بن علي الشوكاني ط١. تحقيق: محمد سعيد البدري. (بيروت: دار الفكر) ١٤١٢هـ

٤- أساس البلاغة. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. دار الفكر ١٣٩٩هـ

٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين ابن الأثير الجزري. دار الفكر

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن محمد الشنقيطي. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات (بيروت: دار الفكر) ١٤١٥هـ

٧- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق: محمد حامد الفقي (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية).

٨- الانتحار في المجتمع الكويتي. مكتب الإنماء الاجتماعي إدارة البحوث والدراسات ١٩٩٥ م

٩- الإيمان. القاسم ابن سلام الهروي. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. (الرياض: مكتبة المعارف) ١٤٢١هـ (مرقم آليا غير موافق للمطبوع. من الموسوعة الشاملة)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- الإيمان بالقضاء والقدر. محمد إبراهيم الحمد (من الموسوعة الشاملة)

١١- بحوث لبعض النوازل الفقهية المعاصرة. (من الموسوعة الشاملة)

١٢- البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: (بيروت: مكتبة المعارف)

١٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. محمد علي الشوكاني: (بيروت: دار المعرفة)

١٤- تاج العروس من جواهر القاموس. محمد مرتضى الزبيدي. تحقيق مجموعة من المحققين.

١٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي.ط١ تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي) ١٤٠٧هـ

١٦- تاريخ مدينة دمشق. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي. تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري (بيروت: دار الفكر).

١٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. محمد عبد الرحمن المباركفوري. (بيروت: دار الكتب العلمية).

١٨- تذكرة الحفاظ. أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهب ط١ (بيروت: دار الكتب).

١٩- التعريفات. علي بن محمد الجرجاني ط١. تحقيق: إبراهيم الأبياري. (بيروت: دار الكتاب العربي) ١٤٠٥هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٠- التقرير والتحبير في شرح كتاب التحرير. محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج.(بيروت: دار الفكر) ١٤١٧هـ.

٢١- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني. المدينة المنورة ١٣٨٤هـ.

٢٢- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة. علي بن محمد بن علي الكناني. ط١ تحقيق: عبدالوهاب عبد اللطيف وعبدالله محمد الصديق الغماري. (بيروت: دار الكتب العلمية).

٢٣- تهذيب اللغة. أبو منصور محمد الأزهري. ط١تحقيق: محمد عوض (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ٢٠٠١ م.

٢٤- التوبة وظيفة العمر. محمد إبراهيم الحمد (من الموسوعة الشاملة).

٢٥- التوقيف على مهمات التعاريف. محمد عبد الرؤوف المناوي ط١. تحقيق: د. محمد رضوان الداية. (بيروت: دار الفكر) ١٤١٠هـ.

٢٦- التيسير بشرح الجامع الصغير. عبد الرؤوف المناوي ط٣ (الرياض: مكتبة الإمام الشافعي) ١٤٠٨هـ.

٢٧- جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري. المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٨- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري). محمد بن إسماعيل البخاري ط٣. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير) ١٤٠٧هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٩- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. جلال الدين بن أبي بكر السيوطي. وبالهامش كنوز الحقائق للمناوي (بيروت: دار الكتب العلمية).

٣٠- الجامع لأحكام القرآن. أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي. (القاهرة: دار الشعب).

٣١- الجرح والتعديل. عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي. ط١(بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٣٢- جريمة قتل النفس في المجتمع الأردني. د.ذياب البداينة (مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٧ الآداب (٢)١٤١٥هـ).

٣٣- حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب. سليمان بن عمر البيجرمي (المكتبة الإسلامية: ديار بكر تركيا).

٣٤- حاشية السندي على النسائي. نور الدين بن عبد الهادي السندي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٣٥- حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج. عبدالحميد الشرواني. (بيروت: دار الفكر).

٣٦- زاد المسير في علم التفسير. عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ط٣.(بيروت: المكتب الإسلامي) ١٤٠٤هـ.

٣٧- زاد المعاد في هدي خير العباد. محمد بن أبي بكر الزرعي ابن القيم ط ١٤. تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٩- السلسلة الصحيحة. محمد ناصر الدين الألباني.(الرياض: مكتبة المعارف).

٤٠- سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد بن يزيد القزويني (بيروت: دار الفكر).

٤١- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (دار الفكر).

٤٢- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي،: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: ط١- ١٣٤٤هـ.

٤٣- سنن الترمذي. محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٤٤- سنن الدارمي. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ط١ .تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي (بيروت: دار الكتاب العربي) ١٤٠٧هـ.

٤٥- سنن النسائي (المجتبى). أحمد بن شعيب النسائي. ط٢ تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية) ١٤٠٦هـ.

٤٦- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المحقق: مكتب تحقيق التراث، الناشر: دار المعرفة ببيروت، ط٥ ١٤٢٠هـ.

٤٧- سير أعلام النبلاء. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. ط٦ تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٨- السيرة النبوية. أبو الفداء إسماعيل بن كثير. تحقيق: مصطفى عبد الواحد (بيروت: دار المعرفة) ١٣٩٦هـ.

٤٩- شرح البخاري. أبو الحسن علي بن بطال القرطبي (مرقم آليا غير موافق للمطبوع. من الموسوعة الشاملة).

٥٠- شرح زاد المستقنع. حمد بن عبدالله الحمد. (مرقم آليا من الموسوعة الشاملة).

٥١- شرح صحيح مسلم. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ط٢. (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ١٣٩٢هـ.

٥٢- شرح مشكل الآثار. أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٥٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي ط٢. تحقيق: شعيب الأرناؤوط.(بيروت: مؤسسة الرسالة) ١٤١٤هـ.

٥٤- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٥٥- صحيح الترغيب والترهيب. محمد ناصر الدين الألباني، (ط٥، الرياض: مكتبة المعارف).

٥٦- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٥٧- صحيح وضعيف ابن ماجه. محمد ناصر الدين الألباني. (مصدر الكتاب برنامج منظومة التحقيقات الحديثية -المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥٨- صحيح وضعيف الجامع الصغير. محمد ناصر الدين الألباني.(مصدر الكتاب برنامج منظومة التحقيقات الحديثية -المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية).

٥٩- صحيح وضعيف سنن الترمذي. محمد ناصر الدين الألباني.(مصدر الكتاب برنامج منظومة التحقيقات الحديثية -المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية).

٦٠- صحيح وضعيف سنن النسائي. محمد ناصر الدين الألباني (مصدر الكتاب برنامج منظومة التحقيقات الحديثية -المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية).

٦١- صحيح سنن أبي داود، المؤلف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

٦٢- الضعفاء الكبير. أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ط١. تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي (بيروت: دار المكتبة العلمية) ١٤٠٤هـ.

٦٣- الضعفاء و المتروكين. عبدالرحمن بن علي بن الجوزي. ط١تحقيق: عبدالله القاضي.

٦٤- طبقات الحفاظ. عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ط١(بيروت: دار الكتب العلمية) ١٤٠٣هـ

٦٥- طبقات الشافعية. أبو بكر بن أحمد بن محمد قاضي شهبة. ط١ تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان (بيروت: عالم الكتب).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦٦- طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين بن علي السبكي ط ٢ (تحقيق: د.محمود محمد الطناحي) هجر للطباعة والنشر.

٦٧- طبقات المفسرين. أحمد بن محمد الداودي. ط١ تحقيق:سليمان بن صالح الخزي (السعودية: مكتبة العلوم والحكم) ١٤١٧هـ.

٦٨- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم. محمد ناصر الدين الألباني. ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي).

٦٩- علل الحديث. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. تحقيق: محب الدين الخطيب.

٧٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بدر الدين محمود العيني.(بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٧١- العمليات الاستشهادية صورها وأحكامها. هاني بن عبدالله بن جبير(الرياض: دار الفضيلة).

٧٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود. محمد شمس الحق العظيم آبادي. ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٩٩٥م.

٧٣- غريب الحديث. أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي. ط١ تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي (بيروت: دار الكتب العلمية).

٧٤- فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة. جمع محمد بن حسين القحطاني ومراجعة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.الرياض. ١٤٢٤هـ.

٧٥- الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية. جمع محمد فهد الحصين. تقديم: د. صالح بن فوزان الفوزان. الرياض ١٤٢٤هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن حجر العسقلاني.تحقيق: محب الدين الخطيب. (بيروت: دار المعرفة).

٧٧- الفروق اللغوية. أبو هلال العسكري. مؤسسة النشر الإسلامي (من الموسوعة الشاملة).

٧٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل. علي ين أحمد بن حزم الظاهري. (القاهرة: مكتبة الخانجي).

٧٩- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. محمد علي الشوكاني ط ٣. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (بيروت: المكتب الإسلامي) ١٤٠٧هـ.

٨٠- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني. أحمد بن غنيم النفراوي المالكي. (دار الفكر بيروت) ١٤١٥هـ.

٨١- فيض القدير شرح الجامع الصغير. عبدالرؤوف المناوي ط١.(مصر: المكتبة التجارية الكبرى)

٨٢- القاموس الفقهي. سعدي أبو جيب. دار الفكر.

٨٣- الكامل في ضعفاء الرجال. عبدالله بن عدي الجرجاني. تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

٨٤- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ط١. تحقيق: كمال يوسف الحوت (الرياض: مكتبة الرشد) ١٤٠٩هـ.

٨٥- كتاب تذكير النفس بحديث القدس. د. سيد حسين العفاني (دار البيان الحديثة) ١٤٢١هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨٦- كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨٧- كشف المشكل من حديث الصحيحين. أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي تحقيق: علي حسين البواب. (الرياض: دار الوطن) ١٤١٨هـ.

٨٨- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط١ تحقيق: صلاح بن محمد عويضة. (بيروت: دار الكتب العلمية).

٨٩- لسان العرب. محمد بن منظور. ط١ (بيروت: دار صادر).

٩٠- لسان الميزان. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ط ٣ تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).

٩١- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين. محمد بن حبان البستي ط، ١ تحقيق: محمود إبراهيم زايد (حلب: دار الوعي).

٩٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. علي بن أبي بكر الهيثمي (بيروت: دار الكتاب العربي).

٩٣- مجموع فتاوى ابن تيمية. أحمد عبدالحليم ابن تيمية: ط٢. تحقيق: عبدالرحمن بن محمد العاصمي. (مكتبة ابن تيمية).

٩٤- مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر الرازي. تحقيق محمود خاطر (بيروت: مكتبة لبنان) طبعة جديدة ١٤١٥هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم) ط٢ تحقيق: محمد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي) ١٣٩٣هـ.

٩٦- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل. عبد القادر بدران الدمشقي. ط٢تحقيق: عبدالله ابن عبد المحسن التركي (بيروت: مؤسسة الرسالة) ١٤٠١هـ.

٩٧- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. علي بن سلطان القاري. ط١تحقيق: جمال عيتاني (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٤٢٢هـ.

٩٨- المستدرك على الصحيحين. محمد عبدالله الحاكم النيسابوري. ط ١ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٤١١هـ.

٩٩- مسند أبي يعلى. أحمد بن علي أبو يعلى ط١. تحقيق: حسين سليم أسد. (دمشق: دار المأمون للتراث) ١٤٠٤هـ.

١٠٠- مسند أحمد بن حنبل. أحمد بن حنبل الشيباني. (مصر: مؤسسة قرطبة).

١٠١- المصنف. أبو بكر عبد الرحمن الصنعاني. ط٢ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي).

١٠٢- المعجم الأوسط. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق: طارق عوض الله وعبدالمحسن الحسيني (القاهرة: دار الحرمين) ١٤١٥هـ.

١٠٣- المعجم الكبير. سليمان بن أحمد الطبراني ط٢. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي (الموصل: مكتبة الزهراء) ١٤٠٤هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠٤- المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى وآخرون. تحقيق: مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.

١٠٥- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ط٢. تحقيق: عبد السلام محمد هارون(بيروت: دار الجيل) ١٤٢٠هـ.

١٠٦- المغني. عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (بيروت: دار الفكر) ط١ ١٤٠٥هـ

١٠٧- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج. محمد الخطيب الشربيني.(بيروت: دار الفكر).

١٠٨- المغني في الضعفاء. محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: نور الدين عتر.

١٠٩- مفتاح دار السعادة. محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم). (بيروت: دار الكتب العلمية).

١١٠- الموافقات في أصول الفقه. إبراهيم بن موسى الشاطبي. تحقيق: عبدالله دراز (بيروت: دار المعرفة).

١١١- الموسوعة الفقهية. وزارة الأوقاف الكويتية والشؤون الإسلامية بالكويت.

١١٢- الموضوعات. أبو الفرج عبدالرحمن بن علي القرشي ابن الجوزي. ط ١ تحقيق: توفيق حمدان (بيروت: دار الكتب العلمية).

١١٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. ط١ تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية).

١١٤- النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية. محمد الأمير الكبير المالكي ط١.تحقيق: زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي).
١١٥- النهاية في غريب الحديث والأثـر. أبو السعاد ات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق: طاهر الـزواوي و محمود الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية)١٣٩٩هـ.
١١٦- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار. محمد بن علي الشوكاني (بيروت: دار الجيل) ١٩٧٣م.
١١٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان. تحقيق: إحسان عباس (لبنان: دار الثقافة).

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٥
التمهيد..... ١٤
الفصل الأول: الانتحار وصوره..... ٢٧
المبحث الأول: تعريف الانتحار وحكمه..... ٢٩
المبحث الثاني: صور الانتحار..... ٣٣
المطلب الأول: التردي من الشواهق..... ٣٥
المطلب الثاني: تناول السم..... ٣٧
المطلب الثالث: الطعن بالحديد..... ٤٠
المطلب الرابع: نكء الجراح..... ٤٣
المطلب الخامس: الخنق..... ٤٥
المطلب السادس: الانتحار بوسائل أخرى..... ٤٦
الفصل الثاني: عقوبة المنتحر..... ٤٩
المبحث الأول: عقوبته في الدنيا..... ٥١
المطلب الأول: وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالفجور..... ٥٣
المطلب الثاني: عدم صلاة إمام المسلمين عليه..... ٥٥
المبحث الثاني: عقوبته في الآخرة..... ٦١
المطلب الأول: الحرمان من دخول الجنة..... ٦٣

المطلب الثاني: دخول النـار..... ٧٠
المطلـب الثالث: التعذيب بما قتل به نفسـه..... ٧٥
المبحث الثالث: نفي العقوبة عـن قتل النفس خطأ..... ٧٧
الفصل الثالث: أسـباب الانتحار، والوقاية منـه..... ٨٣
المبحث الأول: الأسـباب الذاتية..... ٨٥
المطلب الأول: الجهل بالديـن..... ٨٧
المطلـب الثاني: الجزع وعدم الصـبر..... ٩٥
المبحث الثاني: الأسباب الاجتماعية..... ١٢١
الخاتمة والتوصيات..... ١٣٧
فهرس المصادر والمراجع..... ١٤١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الانتحار ظاهرة عالمية خطيرة لا يحدها مكان ولا زمان، ولا تختص بطبقة دون أخرى، وهي موجودة في كل المجتمعات ولكن بنسب متفاوتة. وفي إحصائية لمنظمة الصحة العالمية أن ١٠٠٠ شخص ينتحر كل يوم على مستوى العالم، أي حوالي ٤٢ شخصًا كل ساعة، ويلقى ما يقارب ٨٠٠٠٠٠ شخصًا حتفه كل عالم بسبب الانتحار. وأكثر من نصف المنتحرين في العالم أجمع هم دون سن ال ٤٥ عامًا. ويعتبر الانتحار على الصعيد العالمي أحد مسببات الوفاة الرئيسة الثلاثة لدى الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٤٤ عامًا . وتقدر حالات الانتحار في العالم سواء في أمريكا أو فرنسا أو الصين أو غيرها بعشرات الآلاف سنويًا. ولم تفلح عشرات الأبحاث والدراسات والبرامج التي كلفت ملايين الدولارات في الحد من هذه الظاهرة بل إن أعداد المنتحرين في ازدياد كل عام.

أما الانتحار في العالم الإسلامي خاصة فهو وإن كان لا يعد ظاهرة لافتة للنظر كشأنها في الدول الأخرى، إلا أنه لم يسلم منه على الرغم من أن حكم الانتحار معلوم عند المسلمين . بل قد زادت نسب الانتحار في البلاد الإسلامية مؤخرًا بشكل يقلق كل مسلم حريص على حفظ المجتمع وسلامته مما يهد أركانه، ويدمر أفراده الذين هم لبنات بنياته. وتخبر الإحصائيات المعلنة عن أرقام مذهلة لأعداد المنتحرين في العالم الإسلامي وإن كانت هذه الأرقام دون الحجم الحقيقي الذي يحجب لأسباب أسرية أو اجتماعية أو أمنية . وإن فشو الانتحار في المجتمع المسلم بأرقامه المذهلة أمر مفزع يخشى معه تنامي هذه الظاهرة عن طريق التقليد والمحاكاة، مما يستدعي ضرورة البحث والدراسة لموضوع الانتحار للحد منه ولتلافي احتمالات تزايد نسبته فهو جريمة عظمى وكبيرة من كبائر الذنوب حرمتها الشريعة المطهرة، وهو فعل مستهجن يعبر عن انهزام المرء أمام المصاعب وانهيار قواه عن تحمل الشدائد، وينبئ عن ضعف الإيمان بالله تعالى، وعقوبته في الآخرة أشد وأبقى من آلام الدنيا التي أراد المنتحر الهروب منها بالانتحار. وليس هناك حل يحد من هذه الظاهرة إلا في التمسك بتعاليم الإسلام الذي حرم الانتحار وتوعد مرتكبه بأشد العقوبات وبين لأتباعه أن الانتحار ليس وسيلة منجية من مصاعب الحياة وآلامها، ولا حلًا لمشكلة، ولا علاجًا لداء، ولا تنفيسًا لكرب ولا دواء لمعضلة، ولا تعجيلًا لفرج، بل هو ظلم للنفس واعتداء على حق الله تعالى الذي بيده الموت والحياة وهو المالك الحقيقي لكل ما في الكون والمتصرف فيه إيجادًا وإعدامًا، ومن أعتدى على حق الله فقد استحق غضبه وأليم عقابه. وقد تضمن هذا الكتاب جمع أحاديث الانتحار من كتب السنة النبوية وبيان معانيها وما دلت عليه من أحكام، وذكر أسباب حدوث الانتحار ومعرفة العلاج وسبل الوقاية منه في ضوء الكتاب والسنة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المؤلفة